5 me Année, No 214. — Lundi - 9 - 8 - 1937

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ص	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

السنة الخامسة « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ جمادى الثاني سنة ١٣٥٦ — ٩ اغسطس سنة ١٩٣٧ » العـــدد ٢١٤

فهرس العـــدد

مصطفى لطفى المنفلوطى

بمناسبة ذكراه الثالثة عشرة (١)

— ٢ —



كان مولد المنفلوطي كمولد الرافعي في بيت كريم بالدين جليل بالفقه توارث أهله قضاء الشريعة ونقابة الصوفية قرابة مائتي سنة ؛ ولكنه كان خِلْفةً لنبعتين مختلفتين : فأبوه عربي صريح النسب إلى عترة الحسين ، وأمه تركية شابكة القرابة إلى أسرة الجوربه جي ؛ ونهج المنفلوطي سبيل آبائه في الثقافة ، فحفظ القرآن في المكتب ، وتلقى العلم في الأزهر ؛ إلا أن للأدباء من أبناء الفقهاء نَبوةً في بعض الحالات على إرادة الوراثة والنشأة ؛ فهم يصدفون في منتصف الطريق عن دروس الفقه

(١) أنظر العدد ٢١٠ من الرسالة

والأصول والعقائد ، إما لأن أذواقهم الأدبية الموهوبة لا تسيغ أساليب كتبها المعقدة ، وإما لأن طباعهم المدنية الحرة لا تطيق الحياة الدينية المقيدة . فكان السيد مصطفى على الكره من ورع قلبه ورعاية أبيه لا يُلقي باله كثيراً لغير علوم اللسان وفنون الأدب ؛ فهو يحفظ الأشعار ، ويتصيد الشوارد ، ويصوغ القريض ، وينشئ الرسائل ، وتسير له شهرة في الأزهريين بذكاء القريحة وروعة الأسلوب فيقربه الأستاذ الإمام ويرسم له الطريقة المثلى إلى الغاية من الأدب والحياة . ثم يستفيد المنفلوطي من قربه إلى الإمام صلته بسعد باشا ، ومن زلفاه لدى هذين العظيمين نُفوقه لدى (المؤيد) ؛ والامام المجتهد محمد عبده ، والسياسي الخطيب سعد باشا ، والصحفي الكاتب على يوسف ، كانوا أقوى العناصر في تكوين المنفلوطي الأديب بعد استعداد فطرته وإرشاد والده ؛ وأولئك الثلاثة كانوا على ما بينهم من التفاوت في نواحي النبوغ أفهمَ رجال العصر الحديث لحقيقة الأدب وأشدهم حدبا على بؤس أهله

كان المنفلوطي لا يعمل جاداً لشهادة الأزهر ، وإنما كان يعتمد في نيلها على جاه الإمام ، كما كان يعتمد من هم على شاكلته من أبناء العلماء على وساطة والديهم ؛ والإمام المفتي مفسر وحي الله ، وشارح فن عبد القاهر ، ومعيد الأدب إلى الأزهر ، كان يقيس كفاية الطالب بمقياس سيبويه لا بمقياس أبي حنيفة . فلما قبضه الله إلى رحمته جزع المنفلوطي فيه على سنده وأمله ، وارتد مقطوع الرجاء إلى بلده . ثم نعش الله عاثر أمله بعد فترة من الزمن فهب يغتني في (المؤيد) الوسيلة إلى النباهة والنجح ، وأوى من الوزير سعد باشا حامي النبوغ إلى ركن منيع ، فخلق له منصب التحرير في وزارة المعارف فضمن له به رغد العيش ووفرة الانتاج حتى اختار الله له ما عنده

***

كان المنفلوطي أديباً موهوباً حظ الطبع في أدبه أكثر من حظ الصنعة ؛ لأن الصنعة لا تخلق أدباً مبتكراً ولا أديباً ممتازاً ولا طريقة مستقلة ؛ والنثر الفني كان على عهده لونا حائلا من أدب القاضي الفاضل ، أو أثراً ماثلاً لفن ابن خلدون ؛ يتمثل الأول قوياً في طبقة المويلحي وحفني ناصف ، ويظهر الثاني ضعيفاً في طبقة قاسم أمين ولطفي السيد ؛ ولا يستطيع ناقد أن يقول إن أسلوبه كان مضروباً على أحد القالبين ؛ إنما كان أسلوب المنفلوطي في عصره كأسلوب ابن خلدون في عصره بديماً أنشأه الطبع القوى على غير مثال ؛ والفرق أن بلاغة (النظرات) مرجعها إلى القريحة ، وبلاغة (المقدمة) مرجعها إلى العبقرية .

أعلم أن المنفلوطي تأثر في القديم بابن المقفع وابن العميد ، وفي الحديث بجبران ونعيمة ، ولكن هذا التأثر دخل في فنه دخول الإلهام والإيحاء ، لا دخول التقليد والاحتذاء ؛ فله من الأولين إشراق الديباجة وقوة النسج ، وله من الآخرين جدة الموضوع وطرافة الفكرة ، ولكنك لا تتذكر وأنت تقرأه أحداً من أولئك جميعاً

عالج المنفلوطي الأقصوصة أول الناس وبلغ في إجادتها شأواً لا ينتظر من نشأة كنشأته في جيل كجيله . وأذكر أننا كنا نقرأ (غرفة الأحزان) و (اليتيم) وأمثالها فنطرب للقصة على سذاجتها أكثر مما نطرب للأسلوب على روعته . وسر النبوغ في أدب المنفلوطي ظهوره على فترة من الأدب اللباب ، ومفاجأته الناس بهذا القصص الرائع الذي يصف الألم ويمثل العيوب ، في أسلوب طلى وسياق مطرد ولفظ مختار . أما صفة الخلود فيه فآتيةٌ من جهتين : ضعف الأداة وضيق الثقافة . فأما ضعف الأداة فلأن المنفلوطي لم يكن عالماً بلغته ولا بصيراً بأدبها ، لذلك تجد في تعبيره الخطأ والفضول ووضع اللفظ في غير موضعه . وأما ضيق الثقافة فلأنه لم يتوفر على تحصيل علوم الشرق ، ولم يتصل اتصالاً مباشراً بعلوم الغرب ؛ لذلك تلمح في تفكيره السطحية والسذاجة والإحالة . فإذا قدر الله لأدب المنفلوطي أن يفقد سحره وخطره في أطوار المستقبل ؛ فإن تاريخ الأدب الحديث سيقصر عليه فصلاً من فصوله يجعله في النثر بمنزلة البارودي في الشعر . وكفى بذلك عرفان فضل وخلود ذكر . أما مسألة الأدب الباكي والأدب الضاحك ، أو الأدب الضعيف والأدب القوى فغالطة مريضة من النقد ستعرض لها في فرصة أخرى .

احمد حسن الزيات

أدب التمـــــرد

للأستاذ عباس محمود العقاد

في ختام مقالنا عن أدب الموافقة قلنا « إن أناساً يتمردون ولا يجيئون بخير مما هو منظور من الأدباء الموافقين المستسلمين ، لأن التمرد المصطنع إن هو إلا موافقة مستورة ومجاراة معكوسة : فيه كل ما يؤخذ على التقليد من نقص ، وكل ما ينبى عليه من وخامة ، وذلك ما نعود إلى تفصيله في مقال تال »

فليس كل التمرد إذن خيراً من كل الموافقة ؛ وليس كل التمرد ابتكاراً وخلقاً واستقلالا بالرأى والفطرة . فكيف على هذا نميز بين التمرد النافع المحمود والتمرد الذى هو ضرب من الموافقة المعكوسة ؟

والمحك الذي لا يخيب ولا يخطئ في التمييز بين كل أدب صحيح وكل أدب سقيم هو هذا : هو أن الأدب الصحيح لن يكون آلياً يجري على نمط الأشياء التى تصنعها الآلات والتى تعرف سلفاً كما يعرف كل مصنوع في قالب مصبوب .

والأدب الذى يوافق ولا يخالف « آلى » محض ، لأن صاحبه ينزل عن مرتبة الانسان إلى مرتبة الآلة التى تحذو حذو ما سبقها ولا تضيف إليه أو تمسه بتحسين وتنقيح .

وكذلك الأدب الذي يتمرد على كل شيء ولا يميز بين ما هو أهل للموافقة وما هو أهل للنسخ والمناقضة إنما يصنع كما تصنع الآلة ويغنيك عن صاحبه كل الغنى ، لأنك تعرف رأيه قبل أن تسمعه ، وتدرك أساليبه قبل أن تراه .

وغاية ما بين هذا وذاك من فارق أن الموافق يؤتى له بشيء فيراه كما يراه السابقون ولا يحب أن يراه على خلاف ما نحلوه من لون ورسموه من شكل ونهجوه من طريق : يقال له هذا أبيض ، فيقول نعم هذا أبيض ؛ ويقال له هذا جميل ، فيقول نعم هذا جميل .

أما المتمرد الكاذب أو المتمرد المصطنع فأنت تعلم ما يقول عن الأبيض قبل أن يلمحه بعينه ، وما يقول عن الجميل قبل أن يتأمله بفكره ويبروزه بحسه وبصره : فالأبيض عنده أسود ، والجميل عنده قبيح ، والنافع عنده ضار ، والضار عنده نافع على غير قياس وفي غير تمييز وتمحيص . فاذا به ينزل عن مرتبة الانسان وينقلب آلة معروفة الوزن والحساب على العكس والمناقضة ؛ ومثل هذا لا يخلق جديداً ولا يحمل في عالم الأدب والفن أمانة ، ولا يبالى بشأنه إلا كما يبالى بشأن المريض لاستطلاع حالة من أحوال سقم النفوس والأذواق .

* * *

إن « الآلية » هي الوصف الوحيد الذى ما جاز قط ولن يجوز أبداً في نتاج أدب صحيح أو فن صحيح .

وإنما يجوز الخلاف فيما عدا ذلك من الأوصاف . أما وصف الآلية فالاتفاق على انكاره بداهة من البداهات ، إذ كان معدن الفن كله حرية السليقة والقدرة على الابداع والاتيان بالجديد حتى في عرض المعنى القديم .

ونحن حين نقول الحرية لا نقصر الغرض منها على حرية الفنان في مواجهة العسف والاملاء والإيحاء من غيره ، ولا نقصد منها أن الفنان يأبى ما يرسم له ويساق إليه على حكم القسر والاضطرار ؛ ولكننا نقصد بها مقصداً قد يلوح في بادئ الرأى غريباً نابياً وهو هو المألوف المشهود فيما يمارسه وفيما قد مارسه كل صاحب فن وكل صاحب رسالة أدبية : نقصد بها « حرية الفن » حتى بين الفنان ونفسه ، فليس له أن يتعسف ولا أن يدعو ملكته إلى غير ما ترضاه وتنساق اليه بمحض « الحرية » وعفو السليقة ، وليس له هو أن يخط للحرية الفنية حدودها أو يشق لها طريقها ، لأنها « حرية مطلقة » لا فرق عندها بين طغيان صاحبها وطغيان عدوها ، ولا محاباة عندها في استجابة أمر تراد عليه .

* * *

ومن الأدباء الواقعيون والخياليون ، ومنهم أنصار الماضى وأنصار المستقبل ، ومنهم الماديون والروحيون ، ومنهم المتفائلون والمتشائمون ، إلا أنهم جميعاً في هذه الخصلة سواء ؛ وهى الخصلة التى يتمردون بها على الآلية ويرتفعون بالانسانية إلى ذروتها العليا ؛ وما كانت للانسانية علامة ترفعت بها عن درك الحيوان إلا التكليف ؛ وما كان التكليف إلا الدرجة الأولى من سلم الحرية التى تأخذ

بشئ وتدع ما عداه ، والتى تختار بين الحميد والذميم والمطلوب والممنوع . أما الدرجات فوق ذلك فهى « الحرية الفنية » التى تنبعث من باطن الانسان بغير آمر ولا زاجر ، ولا تتوقف على التكليف والتخيير .

نعم ليس الواقعيون أو الماديون عنواناً آخر للموافقين أو المقلدين . فمن يصف الواقع ليس باللازم اللازب أن يخضع له ويرضاه ، ومن ينكر المثل العليا ليس باللازم اللازب أن ينكر الحركة ويخلد إلى الجمود .

لقد كان المتنبي « واقعياً » إلى جانب العمل ، وكان المعرى واقعيا إلى جانب الزهد والقعود ، وكلاهما مع هذا مثل بارز فى التمرد والثورة على « الآلية » والتقليد ؛ فأسلوب المتنبي جديد ، وخبرته للناس جديدة ، وثورته على الواقع معناها أنه من المتمردين وليس من الموافقين .

أما المعرى فهو على تشاؤمه وزهده قد دفع الحاضر المحيط به دفعة الجبار الذى يهدم بيديه وهو قائم فى مكانه . وقل فيه ما شئت إلا أنه آلة وليس بإنسان فى الصميم من الحرية الانسانية ؛ وقل فى تمرده ما شئت إلا أنه تمرد آلى وليس بتمرد « حر » يمتاز به المعرى بين سائر المتمردين ؛ وإلا فمن هو المتمرد الذى يشبه المعرى فى تناول الأمور ونقد العيوب وصياغة النقد فى منظومه ومنثوره ؟؟ تلك علامة الأدب الصحيح أو الفن الصادق : علامته أن عشرين شاعراً ينكرون أموراً بعينها ثم يختلفون فى نمط الإنكار اختلافا يحمل عنوان كل شاعر منهم ولا يخالط غيره من العناوين

* * *

من الواجب أن نثور على أدب الموافقة

وأوجب منه أن نثور على أدب « الثورة » الكاذبة ، أدب التمرد البخارى أو الكهربائى الذي يحطم ذات اليمين وذات الشمال كما تحطم القاطرة بغير سائق .

وفى أوربا اليوم غاشية من هذا التمرد الزرى يوشك أن تسرى إلى أمم الشرق ، لأنها أشبه الأمور معاً بكسل الكسالى وجموح الجامحين . فأما الكسلان فالتمرد الآلى مغنيه عن التحصيل ، ومغنيه عن إجهاد الذهن ورياضة الذوق على التفريق والتمييز ؛ وأما الجامح الأهوج فالتمرد الآلى فى يديه كالسيف الذي يشهره المجنون وهو مغمض العينين أو مفتوحهما على حد سواء

وأظهر ما كان ظهور التمرد الآلى فى عالم التصوير ، لأنه الفن الذى يفاجىء العيون ولا يخفى الشذوذ فيه حتى يتسرب إلى الأفكار والأذواق . فالمصورون المجددون اليوم فى أوربا اللاتينية يصورون لك ما شاءوا الا ما تراه وتحسه وتتخيله وتفقه مغزاه . ومن المحقق أنك تبحث عن وجه الرجل المرسوم فلا تراه ، وعن مشاهد الطبيعة المرسومة فلا تراها ، وعن الرمز المتوقع أو الشبه المنتظر فلا تلمح أثراً لهذا ولا لذاك . . . وكل شكل جائز أن تلقاه فى الصورة إلا الشكل الذى يجب أن تلقاه ! ! ولا تدرى بعدها ما الذى على الانسان أن يتعلمه ليسلك فى عداد المصورين ؟ هل يتعلم الرسم ؟ هل يتعلم مزج الألوان ؟ هل يتعلم التشريح ؟ هل يتعلم التعبير ؟ هل يتعلم مشابهة الملامح ؟؟ كلا ! لا ضرورة لذلك فى صناعة التصوير على مذهب هؤلاء المجددين . فما من صورة حديثة فيها سمة من تلك السمات . ولعل تعلم الحلاقة أو تعلم الطبخ أو تعلم النسيج أقرب إلى إخراج صورة الانسان على هذا المثال من تعلم الرسم والتشريح والألوان .

وإنما تبدو لنا حقيقة هذا التمرد إذا نظرنا نظرة واحدة إلى وجوه دعاته والمتظاهرين بفهمه واستحسانه . فجميعهم أمساخ مشوهون ، أو ضعفاء مهملون ، لا يقعون فى موقع من الأنظار ولا الخواطر . ودأب هذه الزمرة من الناس أن تنكأ الأذواق والضمائر لتبلغ ممن يعافونها ويعرضون عنها مبلغاً من الانتباه والمبالاة ، وتلك سريرة خفية فى جماعة الخلعاء حيث كانوا وحيث تهيأ لهم الظهور بالتفحش فى الأخلاق ، أو التفحش فى الأذواق ؛ ومن كان منهم سوىّ الخلق معتدل التركيب فى ظاهر الأمر فآفته لا محالة نقمة مطوية تلحقه بزمرة الأمساخ والمشوهين ، ولولا ذلك لما جنح إلى إيذاء الشعور واللجاجة فى إيذائه حتى يقال من حوله إنه ليس بحقير وإنه لا يترك بغير انتباه .

ذلك نموذج من وباء « التمرد الآلى » فى الفنون الأوربية الحديثة ، وهو تمرد أدنى إلى النثانة والعقم من كل جمود وكل موافقة .

عباس محمود العقاد

حلم بالمدرســـة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

رأيت فى النام أنى رددت تلميذاً . وقلما أذكر ما أراه فى حلامى لأنى أنام كالقتيل من فرط الاعياء والنصب ثم لأن ا كرتى خوانة . وأحسب أن من فضل الله على أنه أعفانى من نشغلان بالأحلام وتأويلها . فما ينقصنى من دواعى الاضطراب لا هذا . وقد كنت فى حياة أمي رحمها الله أصبح فأدخل عليها أجلس إلى جانبها على حشيّة مطروحة فوق السجادة وأمامها لوفد وعليه وتحته أدوات القهوة كلها فتصب لى شيئاً فى الفنجانة تناولنيها فأسألها : « نمت نوماً مريحاً ؟ » فتقول : « لله الحمد » أسألها مرة أخرى : « أحلام لطيفة إن شاء الله ؟ » فتقص على ارأت وأنا مصغ وبى كالذهول من شدة استغرابى لدقة الوصف إحاطته بالألوان والأصوات والاحساسات وما يدور فى النفس ن معان ، وأرانى أسأل نفسى وأنا أنصت : « أتراها تتخيل ؟ » لكنى أعرفها صادقة تتق الله وتخشاه فلا يسعنى إلا أن أتعجب بذه القدرة التى حرمت مثلها .

وأذكر أنه لم يسؤنى أنى رجعت تلميذاً أجلس فى الصف أصنى إلى المعلم وأجمل بالى إليه . وقلت لنفسى وأنا ماض إلى لدرسة : إن الحياة مدرسة لا تنتهى . والمرء لا يكف عن التعلم لحظة واحدة إلا حين تنقطع أنفاسه ويخرج من الدنيا . وصحيح ن أكثر ما يتعلمه الانسان فى مدرسة الحياة يدفن معه فلا ينتفع ه أحد — لا هو ولا سواه — ولو كان الذي أفاده فى حياته يبقى بعـده ويتخلف فى الدنيا دونه لما كان المرء خليقاً أن يشعر بعبث لتجارب وما استطاع أن يحصل فى فسحة العمر طالت أم قصرت ؛ إذ ما خير أن أتعلم وأن أحصـل وأن أستخلص الحكمة والعبرة ممـا أجرب وأعانى إذا كان كل ذلك يطوى معي بل لا يعود له وجود ؟ ولـكن ما يبدو من قلة الجدوى فى النهاية لا يمنع أننا نظل نتعلم ما دمنا أحياء . وإذا كان هذا هكذا فالأولى أن يكون المرء تلميذاً جهرة وصراحة فلا يذهب يدعى أنه فرغ من التعلم وحصل كل ما ينبغي له تحصيله . وهذا الذى أصنعه الآن من استئناف عهد التلمذة هو الذى يقضى به الصدق — صدق النفس على الأقل .

ولا أذكر ما الذي ردنى إلى المدرسة وكل ما أعرفه أني رأيتني أقصد اليها وأنى كنت فرحاً بذلك ، وكان معى شيء أحمله ولم ألتفت إليه إلا بعد أن صرت بين التلاميذ الآخرين فقد وجدت « الفصل » غاصاً بهم ، ولـكنى لا أذكر منهم إلا وجه الأستاذ محمود عزمى فقد كان يجلس إلى أقصى اليمين ، وكان مكانى الذي قصدت إليه فى أقصى الجنوب ، وكانت وراءه نافذة مغلقة فوضعت ما أحمل على حافتها ، وعرفت فى هذه اللحظة فقط أن الذى أحمله هو قطع شتى من الحلوى والفطائر والسندوتش . وتذكرت وأنا أضع ذلك على حافة النافذة المحكمة العسكرية التى شهدت جلساتها أيام كنت أعمل فى جريدة الأخبار . وكانت المحاكمة طويلة وكنت أوافى الجريدة بأنبائها مفصلة ، وكانت الجلسات تعقد فى الصباح وفى المساء أيضاً كل يوم . وكنت أتعب وأجوع وأظمأ ، فكان المرحوم أمين بك الرافعي يبعث إليّ مع الخادم الذى يجيء ليأخذ منى الأوراق التى كتبتها بالسندويتش وما إليه و « بترموص » فيه عصير الليمون فكنت آكل وأشرب وأفرق

وكان الأستاذ الذى وجدته فى « الفصل » شاباً وكنت أحس أنى أعرفه . ولم أستغرب أن يكون شاباً ، وحدثت نفسي ان هذا خير من أساتذتى القدماء الذين كانوا جميعاً من الشيوخ ، ولا أعنى الشيوخ ذوي العمائم بل من الشيوخ فى السن ، ولا استثنى منهم إلا واحداً هو الأستاذ الشيخ احمد الاسكندرى ، أرانى لا أزال أضن به أن أسلكه مع سواه ممن علموني فى صغرى . وقلت لنفسى وأنا واقف فى مكانى — فما أذكر أنى قعدت — عسى أن يسير بنا هذا الأستاذ الشاب فى نهج مستقيم واتجاه سديد فقد أضلنا تعليمنا القديم وحيرنا وتركنا كالتائهين فى الصحراء ، وما كان لنا من أساتذتنا السابقين مرشد أو معين ؛ وأحسبهم ما كانوا يعرفون إلا ما يعلموننا ، فلهم العذر إذا كانوا قد عجزوا عن هدايتنا وإرشادنا والأخذ بأيدينا .

وكان الأستاذ يحمل خيزرانة — فما استطعت حتى فى الحلم أن أتخلص من صور المدرسة القديمة ، وكان أبرز ما فيها العصا —

وابتسمت وأنا أنظر إلى الخيزرانة فى يد المعلم ونظرت إلى الأستاذ عزمى فأدرك ما أريد وهز رأسه وابتسم ابتسامته المحببة وقال : « أيوه يا سيدى . . . لا يزال القديم على قدمه مع الأسف »

وقال الأستاذ شيئاً فهمت منه أنه يريد أن يلقى أحدنا كلمة استهلال - أي أن يفتتح الدرس ، فأعربت عن استعدادى لألقاء الكلمة المطلوبة ، فقال الأستاذ عزمى : « من أول يوم يا مازنى ؟ » فابتسمت له راضياً وتنحنحت استعداداً للكلام ، وأذن لى الأستاذ فقلت كلاما لا أذكر منه مع الأسف ولا حرفاً واحداً ، ولكنى أذكر أني كنت وأنا أتكلم أحدث نفسى بأن الأثرة كانت تفسد على التلاميذ حياة المدرسة المشتركة فكان أحدنا إذا اشترى شيئاً من الحلوى أو « المخلل » - فقد كنا نشتريه قبيل الغداء ونحمله معنا إلى موائد الطعام - أقول إن أحدنا كان إذا اشترى شيئاً يضن به على إخوانه ولا يسمح لهم بأن يشاركوه فيه ، وكان ربما ذهب إلى ركن خفي وأخرج من جيبه بعض ما فيه وراح « يبلع » قبل أن يفاجئه أحد ويطلب منه قطعة . ولكنا كبرنا الآن وعرفنا أن الأثرة عيب وأن لذة المشاركة أحلى وأطيب . وإن جديراً بى فى مستهل حياتى المدرسية الجديدة أن أستن سنة الإيثار أو على الأقل المشاركة ، وأن أقلب جو المدرسة جو تعاون ومودة .

كان هذا يدور فى نفسى وأنا ألقى كلمتى ، فامتدت يدى إلى النافذة واستراحت أناملى عليها إلى أن أستطيع أن أهتدى وأنا أتكلم إلى مناسبة تسمح بأن أوزع الحلوى والسندوتش على الزملاء ، ولكن المناسبة لم تعرض مع الأسف لسبب خارج عن إرادتى فقد استيقظت فانتسخ الحلم قبل أن يتم . وكان الذى أيقظنى صوت دق عنيف على باب العمارة وصياح عال : « افتح يا محمود . . . إنت ميت ؟ . . »

فأخرجت الساعة من تحت الوسادة ونظرت إليها فاذا هى الثالثة صباحا ، فقلت : والله إن محموداً لمعذور ! وهل كان عليه أن يظل واقفاً بالباب ينتظر مقدم صاحبنا إلى الفجر ؟ وفتح الباب ودخل الرجل - فقد كان رجلا كما لا أحتاج أن أقول - يزمجر ويبرطم وبدأ الفصل الثاني من رواية إزعاج خلق الله فى سكون الليل فقد شرع يدق باب شقته ويصيح وينادى ، وبقى على هذا الحال ربع ساعة لاتنقص دقيقة ، وكان الذى يثير ثائرته ويهيجه إلى ما به أن من فى بيته - لا أدرى من - لا يريدون أن يفتحوا له البـاب ، وكانوا يقولون له : « اذهب فنم حيث كنت » فيرج الباب ويهزه ويهدد بكسره ويدعو البواب المسكين أن يساعده على تحطيمه كأنما يمكن أن يعينه البواب على فعل كهذا . . . وأخيراً فتح الباب ووسعنى أن أضحك قليلا وأن أستأنف النوم - لا الأحلام مع الأسف . . . وتذكرت حكاية الرجل الذى رأى فى منامه أن واحداً يعرض عليه تسعة وتسعين جنيها وهو يأبى إلا أن تكون مائة ؛ واشتد الحوار واللجاج بينهما فاستيقظ الرجل فنظر فى يديه فألفاها خاليتين فارغتين كفؤاد أم موسى ، فندم وأغمض عينيه ومد كفه وقال « طيب رضينا . . . هات بق »

كذلك أنا والله ... كنت أود أن أعود إلى حلمى لأرى ما يكون منى ومن إخوانى . وكان الذى يعنينى على الخصوص أن أعرف كيف يكون سلوكنا فى المدرسة وهل نعود إلى « الشقاوة » القديمة التى اشتهرنا بها ؟ . وهل « نحوى » على المدرس كما كنا نفعل فى صبانا ؟ . وهل يمكن مثلا أن ننثر الحبر الأزرق على ثيابه البيضاء حين يمر بنا ؟ . ونضع سن الريشة بين « الدرج » وغطائه ونذهب نخرج منها أصواتاً قد لا تكون موسيقية ولكنها كافية لإزعاج المعلم وبلبلة خواطره وتحييره الخ الخ

والأحلام — على ما يقال — تؤول بضدها ، فإذا كان هذا صحيحاً فهل معنى هذا أنى سأرتد معلماً ؟ .. أعوذ بالله .. ولا قدر الله .. لقد نجوت من هـذا فلن يردنى إليه شئ كائناً ما كان . وذكرت لهذه المناسبة حادثاً مضحكا — أو لا أدرى ماذا يفعل — ذلك أنى كنت محرراً فى جريدة الأخبار . وكانت الأحكام العسكرية مرفوعة فى ذلك الوقت ولكن الرقابة التحفظية على الصحف كانت قد ألغيت ، وكان صديق لى يبعث إلىّ بمقالات عن وزارة المعارف ويضع فى ذيلها اسماً مستعاراً مثل « مطلع » أو نحو ذلك فقد نسيت . وكانت هذه المقالات تقض مضجع الوزير يومئذ . وكنت أخشى أن نفاجأ بهجوم على الجريدة فتؤخذ الأصول ويعرف الكاتب فكنت أنقلها بخطي وأحرق الأصل ؛ ويظهر أن أحدهم

سل بعمال المطبعة الذين لا يعرفون أن فى الأمر سراً لأنهم ون المقالات بخطى . فاقتنعت الوزارة أنى أنا الكاتب ولم تستغرب ث لأني كنت من موظفيها ومن رجال التعليم بها . وفي حدى الليالي كنت عائداً إلى البيت — وكان يومئذ فى صحراء مام — فصار كل من يلقانى هناك يقول لى: إن الشيخ (يريدون يخ الامام وهو قريبي) يطلبك فسألت عنه ، فلم أجده ، فذهبت ، بيتى ونمت ، وفي الصباح بعث إلى الشيخ خادمه فلحقت به ال : « إركب » فركبت . وكانت له مركبة يجرها جواد أصيل سألته : « إلى أين إن شاء الله ؟ » قال « إلى وزارة المعارف » هشت وسألته : « وماذا أصنع فى وزارة المعارف ؟ » قال: « تتسلم لك » فصحت من فرط الدهشة : « عملي ؟.. ماذا تعنى ؟ » قال: جاءنى وزير المعارف أمس وأنت تعرف أنه صديقي وقال لى إنه أن المازنى قريبي وأنه يعتمد على فى اقناعك بقبول العودة إلى ليفة كوظيفة أقرانك فى الوزارة » فأدركت أن الوزير غلط ظن أني أنا كاتب المقالات التي أقامت القيامة وقلت : « إن المسألة ا غلط . . لست كاتب المقالات » قال : « زى بعضه » قلت : هذه رشوة لا أستحقها مع الأسف » قال : « يا أخى لا تكن نونا » قلت : « مجنون . . عاقل . . كيف أستطيع أن أدخل ارة المعارف وأنا أكتب كل يوم بامضائى ضد الوزارة كلها ؟ . ى وجه ألقى الناس ؟ . . كل ذمة لها ثمن . . لا تحسب أن أحداً فع من أن يرشى . . ولكن من سوء الحظ أن هذه الرشوة رض فى الوقت الذى لا يسعنى فيه أن أقنع ضميرى بقبولها . . قد قلت لك إنى لست الكاتب كما توهمت الوزارة فأرحها وأعفها ن تكلف هذه الرشوة . »

وانتهى الأمر على هذا الوجه . وانى ليخيل لى أحيانا أنى كنت مغفلا ولكن من يدرى ؟ . . وسواء أكنت أم لم أكن أعرفنى ندمت قط على شيء مضى وفات . . ولماذا أعنى النفس لماضى ولا خير في ذلك ؟ والحاضر حسبي مشغلة . والحمد لله على وفق وأعان .

ابراهيم عبد القادر المازنى

كان لمصر أسطول

فهل يعيد التاريخ نفسه ؟

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كانت مصر بين الدول التى دعتها الحكومة البريطانية إلى الاشتراك فى حفلة العرض البحرى الكبرى التى أقيمت لمناسبة تتويج جلالة الملك جورج السادس ، ولكن مصر اعتذرت عن إجابة هذه الدعوة لأنها لا تملك من الوحدات البحرية اللائقة ما يصلح لاشتراكها فى مثل هذا الحفل الدولى العظيم

وبالأمس احتفلت مصر بتتويج جلالة مليكها الفاروق احتفالا رائعاً يذكرنا جلاله وروعته بمجد عصورنا الذاهبة وعظمتها ، وروعة أيامها ومناسباتها المشهودة ؛ واشترك الجيش المصري الباسل بوحداته البرية والجوية فى هذه المناسبة السعيدة اشتراكا يذكرنا بماضيه العسكرى الباهر ، ويبعث إلى الأمل فى أن يغدو سراعا كما كان فى الماضى درع البلاد وحصنها الحصين

ولكنا لم نسمع للأسف صوت الأسطول المصري ، ولم نشهد أثره فى تلك المناسبات العظيمة لأن مصر لا أسطول لها

هذه الحقيقة المؤلمة يجب أن تلفت أنظار مصر المستقلة إلى مركزها الدقيق بين دول البحر الأبيض المتوسط ، وإلى ما يمكن أن تواجهه فى المستقبل من الأخطار من هذه الناحية خصوصاً فى هذا العصر الفياض بالتطورات والاحتمالات السريعة ، وفى هذه المياه التى تنذر من آن لآخر أن تضطرم بكدر الخصومات والمنافسات التى تتفاقم عواملها يوماً بعد يوم

فمصر بلد بحرى بلا ريب تمتد شواطئه إلى مسافات بعيدة على طول البحرين التاريخيين العظيمين : بحر الروم أو البحر الأبيض المتوسط ، وبحر القلزم أو البحر الأحمر ؛ وقد لعب هذان البحران العظيمان منذ فجر التاريخ فى تاريخ مصر وفى مصايرها أدواراً خطيرة ؛ وسوف يلعب كلاهما بلا ريب دوره الخطير فى مستقبلها

وقد شعرت مصر دائماً بمركزها البحرى الخطير فى هذين البحرين ، فكان لها منذ أقدم العصور أساطيل حربية تجوس

خلال هذه المياه وتذود عن شواطئها ، وأساطيل تجارية تحمل تجارتها إلى أقصى ثغور العالم القديم

وكما أن لمصر تاريخ مجيد فى الغزوات والفتوحات البرية التى بلغت أحياناً قاصية الأناضول شمالاً ، وأقاصى السودان والحبشة جنوباً ، فكذلك لمصر تاريخ مجيد فى الغزوات والفتوحات البحرية، بل إن تاريخ مصر البحرى يبدو أحياناً فى ألوان من العظمة تضارع سيرة أعظم أساطيل هذه المياه فى العصور الوسطى ؛ فقد كان الأسطول المصرى طوال هذه العصور يملك ناصية شرق البحر الأبيض ، ويناهض أسطول الدولة البيزنطية ، وأسطول البنادقة أعظم أساطيل العصر ، وكانت له فى تلك المياه جولات وفتوحات عظيمة حتى أواخر القرن الخامس عشر

ومنذ القرن الرابع الهجرى (القرن العاشر الميلادى) نرى مصر تعنى بأسطولها عناية فائقة ، وتنشئ دور الصناعة أو المصانع البحرية العظيمة لتغذى أسطولها باستمرار بمختلف الوحدات البحرية ؛ وكانت دور الصناعة بمصر والاسكندرية ودمياط أيام الفاطميين تخرج أعظم الوحدات البحرية المعروفة فى ذلك العصر . وبلغ الأسطول المصري فى أوائل عهد الدولة الفاطمية نحو ستمائة قطعة ترابط فى الاسكندرية ودمياط وعسقلان وفى البحر الأحمر . وكان للاسطول وشئونه ديوان خاص يعرف بديوان الجهاد أو ديوان العمائر ؛ واشتبكت مصر أيام الفاطميين مع الدولة البيزنطية فى عدة معارك بحرية شهيرة . وفى أيام الدولة الأيوبية لعب الأسطول فى المعارك الصليبية دوراً خطيراً ؛ وكانت الحراقات أو قاذفات النار المصرية عاملا حاسما فى هزيمة لويس التاسع ورده عن مصر . ومع أن الأسطول لم يحظ أيام دول السلاطين بمثل العناية التى حظى بها أيام الفاطميين ، فإنه لبث منذ القرن الثالث عشر إلى أواخر القرن الخامس عشر عاملاً هاماً فى التوازن الدولى فى شرقي البحر الأبيض المتوسط . وفى أوائل القرن الخامس عشر افتتح الأسطول المصرى جزيرة قبرص فى عهد الملك الأشرف بارسباى (سنة ١٤٢٥ م) ، وغزا رودس أكثر من مرة ؛ وكان يشتمل يومئذ على نحو ستين قطعة ، وكان معظم بحارته من المتطوعين الذين يهرعون إليه كلما دعا داعى الجهاد . وما زالت مصر أيام السلاطين تحتفظ بأسطولها حتى الفتح العثمانى ، بل نرى السلطان الغورى آخر أولئك السلاطين يجدد الأسطول المصري ويمده لمحاربة البرتغاليين للمحافظة على طريق الهند القديم الذى كانت مصر حارسته وكانت تعلق عليه أهمية تجارية خاصة . وفى سنة ١٥٠٨ م أعني قبيل الفتح العثمانى بأعوام قلائل نرى الأسطول المصرى بقيادة أمير البحر حسين يهزم الأسطول البرتغالى فى البحر الأحمر بقيادة الأميرال لورنسو الميدا ، ثم يشتبك بعد ذلك فى معارك بحرية شديدة مع أسطولى برتغالى آخر بقيادة أمير البحر الشهير البوكركي على مقربة من باب المندب

والظاهر أن مصر لبثت بعد الفتح العثمانى مدى حين تحتفظ بأسطولها ، أو على الأقل بسمعتها البحرية ، فترى التواريخ النصرانية تنوه بشجاعة البحارة السكندريين فى موقعة لبانتو البحرية الشهيرة التى نشبت بين الأسطول العثمانى بقيادة على باشا، والأساطيل النصرانية المتحدة بقيادة الدون خوان سنة ١٥٧١م ، واشتركت فيها إلى جانب الترك وحدة بحرية مصرية ، تنوه التواريخ النصرانية بشجاعتها وبراعتها

بل مالنا نرجع بعيداً ، وقد كان لمصر فى أوائل القرن الماضى أسطول ضخم ، وكانت من الدول البحرية التى يحسب حسابها فى شرق البحر الأبيض المتوسط ؛ فى عهد محمد على استعادت مصر سفنها القديمة كدولة بحرية ، واستأنف الأسطول حياته فى هذه المياه بعد أن قطعت زهاء ثلاثة قرون . ومع أن الأسطول المصرى لم يبلغ عندئذ قوته القديمة ، فإنه لم يلبث أن غدا عاملا يحسب حسابه . واهتم محمد على بإنشاء الأسطول منذ بداية حكمه ، فأنشأ أسطولاً صغيراً فى البحر الأحمر ثم قرنه بإنشاء أسطول كبير فى البحر الأبيض المتوسط ، وأنشأ بالاسكندرية دار صناعة عظيمة لصنع الوحدات البحرية . ومع أن الأسطول المصرى قد نكب فى موقعة نافارين الشهيرة فى المياه اليونانية سنة ١٨٢٧ ، فإن عبقرية محمد على أبت ألا أن تنشىء لمصر أسطولاً آخر أعظم وأضخم ، فلم تمض أعوام قلائل حتى كان لمصر أسطول ضخم قوامه ست وثلاثون قطعة من مختلف الوحدات ، بها الف وثمانمائة مدفع ؛ وبلغ رجاله نحو ثمانية عشر الف مقاتل ؛ وذلك فى سنة ١٨٤٣ أعنى لأقل من قرن مضى . وكانت معظم هذه الوحدات البحرية من صنع دار الصناعة المصرية الشهيرة ، وقليل منها اشترى من الخارج

ـك لتدهش حقاً إذا علمت أن الميزانية المصرية لم تزد إيراداتها في ، الحين على ثلاثة ملايين جنيه ، وكانت هـذه الملايين الثلاثة ـية للانفاق على الجيش والأسطول ، ومختلف المرافق والمشاريع ـلاحية العديدة التي اضطلع بها مصلح مصر العظيم

هذا ولسنا نتحدث هنا عن أسطول مصر التجاري ، وكيف ـن طوال العصور الوسطى يأخـذ بأعظم قسط في المواصلات ـرية بين مصر وثغور البحر الأبيض المتوسط ، شرقه وغربه ـاله ، وكيف كان إلى جانب أساطيل البنادقة والجنويين يأخذ ـط وافر في تجارة الهند في تلك العصور

* * *

عرضنا هذه الخلاصة التاريخية ليرى القارىء كيف كانت ـر في عصور استقلالها دولة بحرية عظيمة ، وكيف كان ـسطول المصري في تلك العصور عاملا من عوامل التوازن ـلاستقرار في شرق البحر الأبيض المتوسط .

والآن وقد استأنفت مصر حياتها الحرة المستقلة بعد فترة ـ المحن غلت فيها إرادتها وحرياتها ؛ الآن وقد عادت تحمل على ـهلها أعباء الاستقلال وتكاليفه ، وتعد أسباب الدفاع عن هذا ـستقلال ، وتعيد تنظيم جيشها الباسل ليتبوأ مكانته التاريخية ـديمة بين الجيوش الحديثة ، فانه يلوح لنا أن حديث الأسطول ـصري مما يناسب المقام والظروف .

وإذا كان من حسن الطالع أن تكون مصر صديقة وحليفة ـريطانيا العظمى أعظم الدول البحرية ؛ وإذا كانت مصر تستطيع ـ حين أن تعتمد على معاونة حليفتها العظيمة في رد اعتداء ـتدين عليها وخصوصاً من البحر ؛ وإذا كانت بريطانيا العظمى ـى من مصلحتها الحيوية أن تعاون بأقصى ما تستطيع في سلامة ـصر من كل اعتداء خارجي ، فإن ذلك كله لا يمنع مصر من أن ـكر في المستقبل وأن تتطلع إلى اليوم الذي تستطيع فيه أن ـظم لنفسها نوعاً من الدفاع البحري إلى جانب الدفاع البري الدفاع الجوي .

ونقول نوعاً من الدفاع البحري لأننا لا نطمع أن تغدو مصر ـولة بحرية في المستقبل القريب ؛ وإنما نطمع في أن يكون لمصر في فرصة الملائمة قوة بحرية دفاعية تؤيد سيادتها في المياه المصرية وتقوم بقسطها من الدفاع عند الطوارىء والفاجآت ، وتكون نواة لأسطول مصر المستقبل . ذلك أن مصر باعتبارها دولة بحرية من دول البحر الأبيض لا تستطيع أن تنفى عن هذه الحقيقة إلى الأبد ، ولا مندوحة لها من أن تساير تطور الحوادث والظروف

ولمصر أسوة بدول أخرى من دول البحر الأبيض ليست أكبر منها ولا أعظم موارد ، مثل اليونان وتركيا ؛ فكلتاهما تملك قوة بحرية متواضعة ، ولكنها في نفس الوقت تكفي لأغراض الدفاع المحلية ، وكلتاهما تعتبر من الدول البحرية في هذه المياه

إن عصرنا الحاضر عصر التسليحات والأهبات الدفاعية ؛ والبحر الأبيض المتوسط ليس مكفول السكينة ، بل يخشى أن يكون في المستقبل القريب مسرحا لمنافسات وخصومات ربما أصاب مصر رشاشها ؛ ومن بواعث الأسف أن تكون حقوق الأمم اليوم عرضة للانكار والانتقاص من جانب بعض الأمم التي تعتد بقوتها ؛ ففي مثل هذه الفترات المضطربة من الحياة الدولية التي يسود فيها قانون القوة ، ترتجف الأمم الضعيفة إشفاقاً على مصايرها ، وتستمد من بعض المحالفات القوية ما تعتمد عليه لدرء الخطر ، ولكن ذلك لا يعفيها من واجب الأهبة والاستعداد قدر استطاعتها ؛ وإذا كانت مصر لظروف خاصة قد تخلفت في هذا المضمار عن غيرها من الأمم ، فان عليها أن تستكمل اليوم ما فاتها بالأمس ، لكي تستطيع مسايرة الحوادث والظروف ، ولكي تثبت قبل كل شيء أنها تحرص على استقلالها الذي نالته بعد طول كفاح

وهذه هي تكاليف الاستقلال الفادحة ؛ فان استقلال الأمم لا تكفله الحقوق الدولية إذا لم تدعمه أهبة الدفاع ؛ ومصر اليوم تبدأ في هـذا الميدان حياة جديدة ، وتعنى بتنظيم دفاعها يحفزها إلى هذا الواجب المقدس تاريخ جيشها المجيد ؛ ولكن مصر أيضا دولة بحرية ، وقد كان لها أسطول مجيد كما كان لها جيش مجيد . فلتذكر إذن تاريخ هذا الأسطول الذي بسطنا خلاصته في هذا الفصل ؛ وإذا كانت ظروفها الحاضرة لا تفسح لها مجالا للعمل السريع في هذا الميدان ، فان المستقبل القريب قد يمهد لها سبيل التفكير ، وقد يمدها أيضا بالوسائل والموارد التي تعاونها على تحقيق هذا المشروع الحيوي الجليل .

محمد عبد الله عنان

عـــــالم !

للأستاذ علي الطنطاوي

« مهداة إلى روح المرحوم أستاذنا الرافعي »

حدثني بعض مشايخي عمّن رأى بعينه وسمع بأذنه . قال :

وقعت الصيحة في « حيّ الميـدان » أجل أحياء دمشق وأكبرها ، صبيحة يوم من أيام سنة ١٨٣١ ، بأن إبراهيم باشا ، قادم لزيارة عالم الشام الشيخ سعيد الحلبي(١) في مسجده . وابراهيم باشا من قد علمت في بطشـه وجبروته ، ومن يده إلى السيف أسرع من لسانه إلى القول وعينه إلى النظر . . . ومن كان جبار سورية وفاتحها وسيدها ؛ فطار الفزع بألباب الميدانيين ، وهم فرسان دمشق وحماتها ، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، ماذا يصنعون ؟ إنهم يعلمون أن الشيخ لايقيم وزناً لأحد من أبناء الدنيا ، فلا يجل سلطاناً لسلطانه ، ولا يوقر غنياً لغناه ، ولا يقيس الناس بما على جسومهم من ثياب ، ولا بما في صناديقهم من مال ، ولا بما يتزون من أموال الدولة (٢) ، ولـكن يقيسهم بما في نفوسهم من فضائل ، وما في قلوبهم من إيمان ، وما في رؤوسهم من علم ؛ وإذا نظر الناس من خارج فرأوا الطبْـل سميناً عظيماً ، نظر هو من داخل فرآه خالياً حقيراً . . .

وكانوا يخشون أن يسوء ذلك من شأنه الباشا ، ويودّون لو رجوا الباشا ، ولـكن كيف يصلون إليه وهو في قصره ، حوله الحجاب والأعوان ، والجند بالسلاح ، ومن حوله الموت ألواناً وأشكالاً ، يحمي حماه ، ويحرس أبوابه . . . ويتمنون لو رَجَـوا الشيخ ،ولـكنّ الشيخ أعزّ من مائة ملك جبار ، تحميه هيبته، ويحرسه تقواه وتحف به الملائـكة واضعة لهأجنحتها ...(٣)

ولم يكونوا يخافون أن ينال الشيخ بسوء ؛ فهذا شيء تُحيله عقولهم لـما استقر فيها من إجلال الشيخ وإكباره . ولا تراه أبصارهم ، لأنهم يقضون عن آخرهم قبل أن تراه أبصارهم ، ولـكنهم كانوا يخشون الشيخ على الباشا ، ويخشون الباشا على نفوسهم .

* * *

ومضوا يقيمون معالم الزينة ، ويبنون أقواس النصر ويرفعون الرايات على طريق البطل الفاتح . ويقطفون أزهى أزهار الغوطة لينثروها عليه . . . فما كان الأصيل حتى تم كل شيء . وأقبل الباشا في الموكب الفخم ، والجند والسلاح والدَّبدَبَة . . . حتى انتهى إلى باب المسجد وكان باباً صغيراً . فاعترض الباشا كأنه يقول له : إرجع أو أرجع دنياك ، إنك تدخل بيت الله بشراً خاضعاً ، أما أن تكون تزور إلـه . . .بألف عبد ، وألف ثوب فلا ! إنه لا يجتمع ميراث النبوة التي جاءت بالتوحيد والمساواة ، ببقايا الجاهلية التي قامت على الشرك والتمييز بين الناس إلا محى أحدها . . . فانظر هل محا باطل حقاً ؟

قال الراوي : وتردد الباشا هنيهة يفكر . ثم أبعد أعوانه وترجل ودخل المسجد منفرداً ، وكان الشيخ جالساً على حصير قد وضعت فوقه حشية ، وكان مادًّا رجله فسمعته يقول :

. . . والمرء إذا خاف الله ، وصدق في مخافته . خافه كل شيء ، لأنه لا يرى كبيراً إلا صغره عنده أن الله أكبر . . . الله أكبر . إن لهذه سراً إلـهياً ، ولـكن المسلمين استعجموا فهم لا يرددون منها إلا حروفها فارغة من المعنى ، وما فرض الله على المسلم أن يقولها كل يوم (٨٥) مرة أقل ما يقولها (١) ويسمعها من المنارة ثلاثين مرة . . . (٢) إلا ليعلم أنه لا كبير في الدنيا وأن من كان مع الله لم يبال شيئاً : لا الملك ولا المرض ولا الوحش ، فلو أن المسلم عرف معنى هذه الكلمة وهو يقولها ما عرف الذل ولا الجبن ولا الكسل .

قال رجل من طرف الحلقة :

---

(١) كان عالم الشام قبل طبقة الشيخ محمود الحمزاوي والشيخ محمد الطنطاوي والشيخ بكر العطار وأصحابهم .

(٢) يعني الرواتب .

(٣) جاء في الأثر : إن الملائـكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع .

(١) إن صلى الصلوات المفروضة (١٧) ركعة كل يوم ، وذلك مالا يكون المسلم مسلماً إلا به .

(٢) في كل أذان ست مرات .

فإن قتله الملك يا سيدى الشيخ ، أو أماته المرض ؟

فقال الشيخ : سبحان الله ! وهل يهـاب المسلم القتل ؟ و يبغض الموت ؟ إن الموت شديد لأنه انقطاع اللذات ، وخسران دنيا ، ولكنه لا يكون بهذا المعنى إلا عند الكافر الذى يعيش ى الدنيا ، ويستمتع علاذها ؛ أما من كان يتهيأ فيها للعيشة الخالدة يقيم فيها كالمستعد للسفر ، ويرقب ساعته كما يرقب المسافر ساعة قطار ، ويراه حين يمضى ليلقى ربه ، كالآيب إلى وطنه حين هب ليلقى أهله وصحبه ... من كان هذا شأنه لا يرى فى الموت وتا ، وإنما يرى فيه ولادة جديدة ، وابتداء حياة ، وقد جاء ى الحديث : إن أفضل الشهداء رجل يقول كلمة حق عند إمام ائر فيقتله بها ...

وكان الباشا قد وقف على الحلقة متنفجاً ، مصعراً خده ، امخاً بأنفه ، فنظر إليه الشيخ رحمه الله فلم يتغير ولم يبد ليه أنه رأى فيه أكثر من رجل ، وأشار إليه أن اجلس كما كان يفعل بغيره ، فلم يتمالك الباشا أن جلس ... ونظر فى لحاضرين يقلب فيهم بصره ، يفتش عن شئ أضاعه فيهم ، عن لخضوع والإكبار اللذين تعود أن يراها حوله دائماً ، ينتظر أن وموا له ، وأن يقفوا بين يديه صفاً ، ولم يدر أن القوم كانوا فى ر هذا ، لم يدر أن الشيخ قد علا بهم ، حتى جعلهم يطلون على نيا من شرفة طيارة ، أو من قطع السحاب ، فيرون الأرض كلها لفحص قطاة ، ولا يرون فى الباشا العظيم إلا نملة .. فمنذ الذى حفل بنملة ...

وأجال الباشا نظره فيهم حتى علق برجل الشيخ ، وكانت دودة نحوه . فأثار مرآها كبرياءه وسلطانه ، ورأى فيها علامة جب أضيفت إلى عظمته وجلاله ، إضافة سخرية وتهكم ؛ ورآها كبيرة فى عينه ، فأحس كأنما هى فى عينه ، ونظر فى الحاضرين يجرد واحد منهم سيفه يتقرب إلى الباشا بقطعها ..؟ وكان اشا ينظر بعين بصره المادية ، لم تفتح بعدُ عين بصيرته المعنوية فاضل بين قصره وسريره ، ومكان الشيخ وحصيره ، وبين نده وأعوانه ، وتلاميذ الشيخ وإخوانه ، فيوقن أن دنيا الشيخ لها لا تثبت لحظة لسيفه الذى لم تثبت له دنيا الخليفة العثمانى (امبراطور الشرق) ... وكان كالأسد الذى زعموا أنه مر على قنبلة من القنابل المدمرة ... ملقاة فى أجمته ، فعجب منها وحقرها وقال : ويحك أى حيوان أنت ؟ يا للضعف والمهانة ! أين الأنياب ؟ أين المخالب ؟ أين .. أين .. يا للهوان ! ما ذا يصنع بأهله. قالوا : ثم ركلها برجله ، فانفجرت القنبلة ! وانفجرت القنبلة من فم الشيخ فرجع يتكلم

* * *

قال :

ومن عجيب صنع الله فى الانسان أن خلقه حيوانا كالحيوان ، ولكنه وضع فيه مَلَكا ووضع فيه شيطاناً ، فمن كان همه من دنياه لذتا بطنه وفرجه ، وابتغاها من حل ولم يعرف غيرها لم يكن فيه إلا الحيوان ، فهو يرتع كما يرتع الحمار ، ويتبع غريزته كما يتبع ؛ ومن كان همه اللذة من حل وحرمة ، ومن كان لا يبالى ما اجترح من السيئات ، لم يكن فيه إلا الشيطان ، وكان العقرب والخنفساء خيراً منه ، لأن مصيرها إلى التراب ومصيره إلى النار . ومن كان همه أن يعيش فى هذه الحياة كما يعيش فى مدرسة يتلقى فيها أساليب الكمال ، ليعيش من بعدُ فى أساليب الكمال ، فهو الانسان حقاً . .

ومن عجيب صنع الله فى الانسان ، أنه وضع فى نفسه الملك ، فلا يحتاج مهما كان ضالاً فاسقاً ظالماً إلا إلى تنبيه الملك فى نفسه ، ليطرد الشيطان ، ويقود الحيوان ، فلست أنت الذى يعظه ، ولكنه يعظ حينئذ نفسه ، وهذا معنى قولهم :

لا تنتهي الأنفس عن غيها   ما لم يكن منها لها زاجر

وذلك ثوابه الجنة ، والجنة لا تكون بالتشهى والأمل ، ولكن بالجد والعمل . ولو أن تلميذاً أمضى عامه فى لعبه ولهوه ، ثم تمنى النجاح ، أكان ينجح ؟ ولو أن صياداً ألقى بندقيته فلم يضرب بها ورمى شبكة فلم ينصبها ، ثم حلم بالقنيصة أكانت أحلامه تعدو فى أثر الغزال حتى تأتى به مكتوفاً ؟ أم كانت السمكة تأتيه وحدها وعلى ظهرها الملح والفلفل تقول له : كلنى ؟ . .

قال رجل : ولكن القلوب قست يا سيدى الشيخ ، فما علاجها؟

قال : إن الشيطان لا يأتى إلا من إشعاره الكمال ، فأشعر نفسك النقص ، وذكرها في الصحة المرض ، وفى الحياة الموت . ولقد أدركنا من مشايخنا من إذا قسا قلبه امّ المستشفى أو قصد المقبرة ، نخوف نفسه المرض وذكرها الموت . والمؤمن لا يزال بخير ما زال بين الخوف والرجاء ، فإن لم يخف أو لم يرج فقد هوى ... ولقد سمعنا ان منهم من كان يدنى يده من المصباح ويقول : يا نفس إن لم تصبرى على هــذا فكيف ويحك تصبرين على نار جهنم ؟ وإن المؤمن ماثارت فى نفسه شهوة ، إلا أطفأها بأنهار الجنة ، أو أحرقها بنار جهنم ، فاستراح منها . . .

وما الانسان لولا العقل ؟ وكيف يكون العقل إن لم يكن معه الايمان ؟ إنه لايكون إذن إلا كما قالوا : أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة . . . وللسلطان سكرة ، فمن أسكره سلطانه وعزته على الناس ، فليذكر هوانه على الله ، وأن الله أهلك أشد الملوك : النمرود ، بأضعف الخلق : البعوض

فيامن أصله من التراب ، لاتنس أن نهايتك إلى التراب !

* * *

وكان الباشا يشعر ، والشيخ يتكلم ، كأنه كان محبوساً فى صندوق ، ثم فتح عينيه فنشق الهواء الطلق ، أو كأنه كان فى ظلمة فاحمة ، فطلع الشيخ عليه شمساً نيرة ، فتضاءل حتى جلس على ركبتيه ، ورأى نفسه دون هؤلاء كلهم ، لأنهم ألصق منه بالشيخ وأدنى إليه ، ولم يعد يزعجه مرأى الشيخ وهو ماد رجله... بل كان يراه الغريق ويراها خشبة النجاة ، وكان يبصرها عالية بجناح النسر المحلق ، ثم لم يعد يري فيها شيئاً ،لقد استحال الشيخ فى نظره إلى فكرة ... لم يعد يري فيه إلا الحقيقة تمثلت إنساناً

* * *

قال الراوى : فلما ذهب الباشا ، بعث إلى الشيخ بكيس فيه الف دينار من الذهب العين ، فلما جاءه به الرسول وألقاه بين يديه تبسم الشيخ رحمه الله ورده إليه ، وقال له : سلم على سيدك وقل له : إن من يمد رجله لا يمد يده . . . . .

البصرة — علي الطنطاوي

من أدب القوة

مثـــــال .. !

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

ثارت نفسه ثورة صارمة جامحة لِتَحَيُّن الغاصبين و[...] وتمزيقه شر ممزق ؛ فصرخ الدم فى عروقه ، ولصرخة الدم د[...] يسمعه الأحرار فتصيبهم جِنّةٌ تخرجهم من ديارهم إلى القبور[...] وتحرّك الإيمان فى قلبه ، وللحركة الإيمان زلزلة تتحطم بها [...] الشهوات ويستيقظ لها المؤمنون يقظة تخرجهم من قبور ال[...] إلى حومة الجهاد ... وأقبل الملك والشيطان يصطرعان على قـ[...] وهو بينهما كما تكون كُدْسَةُ الحَبّ بين شِقّ الرحى . [...] يدعوه الأول إلى خطة الأقل والأكثر فيها الفداء فى الدار [...] عريت من الخلود وازينت بالشر ، ويقول له : إنك ما كنت لتـ[...] هنا ، وإنما الحياة هناك . . . فاذبح مالك لحريتك ، واذبح شـ[...] الدعة فى الزلة لكرامة العزة ، واخرج من كل شيء لله الـ[...] أعطاك كل شيء ...

إيتهِ جسداً عارياً من الحلى والزينة ، فإنها سلاسل تربـ[...] بالأرض . . . وائتـه نفساً عارية من كَلَبِ شهوةِ البقاء . [...] وائته عقلا عاريا من صور البنين والملوك والذهب والفـ[...] والمنصب ... فإن كل أولئك أقذاء وحجب تغشى العين فلا تبـ[...] ذلك اللفظ الصارم الذى لا يرحم ، العابس الذى لا يبتسم : الواجـ[...]

إيتِـه عبداً مملوكا طائعا ولك الكرامة قبل أن تؤخذ [...] كارها وعليك كلمة السوء ...

ويدعوه الثانى إلى خطة الأقل فيها السلامة . . . والأ[...] فيها العيش الموفور المعطّرُ المُدَثّرُ المفضض . . . ويقول [...] مالك مجنوناً بالفناء وقد خلقت للبقاء ؟ ! الناس قطعان حيـ[...] ليس فيهم حرمة ولا لهم واجب فلماذا تموت ليحيوا . . ؟ أعـ[...] أنت الشابّ الغُرانِقَ المُقبِـل ليحيا العجائز والشيـ[...] المدبرون . . ؟ لمـاذا تحمل وطنك بكل ما فيه على قلبك ؟ أ[...] عنك يتحطم وعش على أنقاضه . . . دع أوهام الأديان وأ[...] الفلاسفة والشعراء . . . أنت «لا تأتى إلى دنياك هذي مرتـ[...]

لا تقف في وجه لذاتك مكتوف اليدين . ! » ولماذا تقدم نفسك ذبيح ويتأخر فلان وفلان ؟ إنتظر حتى يتقدموا ... أتموت ليبقى عماء فلان وفلان يتمتعون بالمجد والنعمة والحل على أعناق . ؟ أتخشى حساب الله على تخلفك عن الجهاد ؟ ومن أنت حتى يحاسبك الله العظيم ؟ ! على أن في الحياة كفارة ...

فيقف في غمرة من الحيرة بين وحى الملك ونزغ الشيطان ، لكن صراخ الدم وزلزلة الإيمان مضافاً إليهما حديث الملك مضافاً إليها حكم العقل بأن الحياة الدنيا ما دامت تنتهي فالأولى أن تنتهي بشرف ... وما دامت اللذات والمناعم ، بنت ساعتها ، تحيا في النفس إلا ريثما تحيا في الحس . وليس لهـا نصيب من حياة الذكرى الخالدة فالأولى أن تُفـطمَ النفس عنها وبخاصة إذا ما داعى الواجب وقالت قوانين الحياة الشريفة : ياإنسان ، النجدة !

كان «موظفاً» في الحكومة ، والوظيفة رخصة تبيح لصاحبها عند نفسه وعند بعض الناس أن يغضى على كل لعنة تصيب دينه ووطنه . . ! وأن يكفر بالله ويعبد الرغيف . . . وليس الرغيف الضروري فحسب بل الرغيف المرصع بكل لذات الفم له ولأبنائه وذرياتهم إلى يوم القيامة .. ! حتى لا يستهدف بزعمه للعنائهم ... وأن يقيم حول ذلك الرغيف سورا وقلاعا من العبارات والضياع تحفظه ممن يتعقبونه ...

ياما أعجب أنانية الانسان ! إنه لا يدرك من حقه إلا ما امتلكه من التافه والحقير ... أما حقه الكبير الذي به سر حياته فلا يدركه ولا يغار عليه ولا يألم لوخز قلبه في عقيدته كما يألم لشوكة تخز خلية من خلايا جسده الترابي . . ! ولا يثور لحق وطنه المسلوب كما يثور لمتاع سرق أو حمار نَـفَـقَ . . !

ولكن صاحبنا كان من الذين يضعون دائماً قلوبهم على أكفهم يعلنونها مستبرئة ظاهرة ليخيفوا بمرآها من ليست لهم قلوب . . . أو من كانت قلوبهم هواء ، أو ليجعلوها دائماً تحت التأثير المباشر للحوادث ، تقرعها الحادثة فتجد صداها مردداً في صدق وبعد عن الرياء والتدليس ، أو ليستفتوها إذا نزل أمر عاجل يعجل الفتوى من إلهام الطبيعة وميزان الفطرة . لذلك ما كانت قيود الوظيفة صمامة على سمعه تمنعه من سماع نداء الواجب ، ولا كمامة على فيه تمنعه من كلمة الحق . . . فلم يكن يدلس على نفسه بتأويل الحوادث ودفعها إلى غير وجهها وتحميلها غير ما يتقاضاه منطقها ، وخاصة إذا كان مدار الحوادث دينه أو وطنه ، فحينذاك يضع قلبه في كفة ميزان والوظيفة بما وراءها من جاه ومال ودعة في كفة ، ويختار الذي هو راجح وخير ، وهو الأول دائماً !

فلما أن طار الحريق في جو وطنه من أنفاس الأحرار حسرة على ما أصاب بلادهم وحريتها كتب يقول :

« أيها الحاكمون ! »

أنا عامل في حكومتكم ، ولكنى ما بعتكم حريتى لأنى لاأملكها ؛ فإنها ألطف وأدق من أن تملك ؛ إذ هي في الحصن المغلق على سر الإنسان : في القلب ...

لذلك أعلنكم أن هذا الجانب الخفى الرفيع منى قد أعلن الثورة عليكم ، وترك لكم هذا الجسد مِـلْكَ يمينكم ، فإن شئتم أخذتموه بها فقطعتم منه الوتين .. وتلك غاية مكنتكم . . وإن شئتم تركتموه سلاحاً تقاتلكم به حريتي التي تحكمني من داخلي .. وتلك غايتها وغايتي !

أما أن أهادنكم على الدَّنيّـة في ديني والخائنة في وطني فذلك ما ليس إليه طاقة حر . .

المال الذي آخذه منكم إنما هو لتحقيق كرامتي بين الناس ؛ فإذا لم أجد لأمتي كرامة فما كرامتي أنا ؟ ! إذاً فهو الآن عندي كعلف الدابة التي تركب . . ولن أكونها !

والجاه الذي أتمتع به في حكومتكم الدخيلة الغاصبة ، إنما هو جاه العبد . . لن يرتفع به إلى أن يكون سيداً مهما كان قربه من سيده ؛ لأن السيادة ليست له في نفسه ، ولا في اعتبار الناس ، ولا في اعتباركم أنتم ، فهو جاه مثلث التزييف ، وأنا آباه !

ودولاب الأعمال في حكومتكم يدور بحرية وإخلاص منكم ليفنى الحرية والاخلاص منا ؛ فاشتراكى معكم جريمة لا يغتفرها قلب الوطن ولا حساب الله .. فلن أصبر بعد اليوم على ما أرى من قبيح فعلكم بأمتي ونقضكم المواثيق التي واثقتم بها أنفسكم وتمزيق وطني ذلك التمزيق الذي سيفنيه لو بلغتم مرادكم فيه ، وما أنتم ببالغيه »

وبهذا انطلق من وظيفته كما ينطلق الطير من قفص فيه حَبٌّ وماء ، ونشيده : الجوَّ الجوَّ ! ولم يأسَ على الحب والماء لأنهما ليسا الشيءُ الهامَّ في سعادة قلبه . . .

ثم سار يجاهد ويضرب في الأرض ، لا يملك غير وجهه جاهاً ، وغيرَ يديه ثروة ، وغير قلبه خزانة .

عبد المنعم محمد خلاف

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣ —

الرافعي في الوظيفة

في أبريل سنة ١٨٩٩ عُيِّنَ الرافعي كاتباً بمحكمة طلخا الشرعية ، بمرتب شهري أربعة جنيهات ، وأعانه على الظفر بهذه الوظيفة ما كان لأبيه وأسرته من جاه في المحاكم الشرعية ؛ وما كان الرافعي ليجهل جاه أبيه وأسرته في هذه المحاكم ، وما كان منكوراً لديه أن لهم يداً على كل قاض في القضاء الشرعي ؛ فنشأ بذلك نشأة الدلال في وظيفته ، لا يراها إلا ضريبة على الحكومة تؤديها إليه عَمِل أو لم يعمل ، لمكانة أسرته من النفوذ والرأي ، ولمكانته هو أيضاً . . . ألم يكن يرشح نفسه ليكون أديب هذه الأمة ؟ هكذا كان يرى نفسه من أول يوم ، وظل كذلك يرى نفسه لآخر يوم . . .

وكانت إقامته بطنطا في هذه الحقبة ؛ فنها مغداه وإليها مراحه في كل يوم ، يتأبط حقيبة فيها غداؤه وفيها كتابه ، وما كان أحد ليستطيع أن يلفته إلى ضرورة التبكير إن جاء في الضحى ، أو يسأله الانتظار إذا دنا ميعاد القطار ولم يفرغ من عمله .

لم يكن يرى الوظيفة إلا شيئاً يعينه على العيش ، ليفرغ إلى نفسه ويُعِدّها لما تهيأت له ، فما انقطع عن المطالعة والدرس يوماً واحداً ، وما كان أكثر ما كان ينقطع عن وظيفته .

وقضى الرافعي في طلخا زمناً ما ، ثم نقل إلى محكمة إيتاي البارود الشرعية ، ثم إلى طنطا ؛ وفي طنطا انتقل من المحكمة الشرعية إلى المحكمة الأهلية بعد سنين ، لأنه رأى المجال في المحاكم الأهلية أوسع وأرحب ، والعملَ فيها أيسر جهداً وأكثر مالاً وأملاً ؛ وظل في محكمة طنطا الأهلية إلى يومه الأخير .

وحياة الرافعي في طلخا وإيتاي البارود وطنطا لا تخلو من طرائف ، وتاريخه في الوظيفة حافل بالصور والمشاهد التي كان أثرها من بعد في حياته الأدبية ؛ ففي طلخا عرف الكاظمي شا[عر] العراق الكبير واتصل به وانعقدت بينهما أواصر الود على ما سيأ[تي] تفصيله ؛ وفي إيتاي البارود تفتحت زهرة شبابه للحب وتعطش[ت] نفسه إلى لذاته ، وعلى (جسر كفر الزيات) فيما بين إيتاي البار[ود] وطنطا مسته شعلة الحب المقدسة فكشفت عن عينيه الغطاء لير[ى] ويحس ويشعر ويكون (شاعر الحس) من بعد ؛ وفي طنطا ك[ان] نضجه وتمامه وإيناع ثمره .

وما أستطيع أن أصف بتفصيل واضح كيف كان يعيش الرافع[ي] في تلك الأيام البعيدة ، ولا كيف كانت صلته بالناس ، ولا كي[ف] تفاعلت حوادث أيامه باحساسات الشباب التي كانت تجيش [في] نفسه الثائرة ؛ ولكني أعرف شيئاً واحداً هو كل ما يهمني إثب[اته] في هذا البحث ، هو أن روحاً رفافة كانت تطيف به في تلك الأ[يام] فتنتزعه من وجوده الذي يعيش فيه لتحلق به في أجواء بعي[دة] وتكشف له عن آفاق مجهولة لم يسمع بها ولم يعرفها فتوحي إل[يه] الشعور بالقلق وألم الحرمان والاحساس بالوحدة ، فلا يجد متنف[ساً] ينفس به عن نفسه غير الشعر ، وكان ذلك أول أمره في الأدب ، وإليه كان آخر ما يمتد أمله ، فما كانت له أمنية إلا أن يكو[ن] شاعراً ، شاعراً وحسب .

* * *

لم يتعلم الرافعي الحب مما يسمع في مجالس الشبان ، كما يت[علم] أبناء هذا الجيل من أكاذيب المنى التي يتداولونها في مجالس[هم] فيتعلمون الحبَّ منها فنّاً له قواعد مرسومة وغاية محتومة . . . لكنه استمع إلى وحي الحب أول ما استمع في همسات روحه وخلجات وجدانه ، وخفقات قلبه ، وانفعال أعصابه ؛ إلى ما ك[ان] للحب في نفسه من صورة مشرقة شائقة مما قرأ من أخبار العذري[ين] من شباب العرب ؛ فأحس كأن شيئاً ينقصه ، فراح يفتقده وش[...] كأن إنسانة من وراء الغيب تناديه وتهتف باسمه في خلوة نفـ[سه] وجلوة خاطره تقول : ها أنا ذي . . . فهام بالحسن ينشده شع[راً] وينشد فيه مثاله الذي يدور عليه ، وطار على وجهه كالفراش الحائمة تقول لكل زهرة : أأنت التي ... فلا يستمع إلى جوا[ب] وإن الصوت البعيد لدائب يهتف في أذنيه : إنني هنا ، إنني [...] ياحبيبي فاقصد إلي . . .

لم يكن يحب إنسانة بعينها يناديها باسمها ويعرفها بصفتها ، بل كانت محبوبته شيئاً فى نفسه وصورةً من صنع أحلامه ، يرى فى كل وجه فاتنٍ لمحةً من جمالها ، وفى كل طلعةٍ مشرقة بريقاً من سَنَاها ، وفى كل نظرة أو ابتسامة معنى من معانى الحبيبة النائية فى قلبه وفى أمانيه . . . فمضى يتنقّل من زهرة إلى زهرة ، عفيف النظر والشفة واللسان ، حتى انتهى أمره إلى أمر . . .

لم ينس الرافعي إلى آخر يوم من حياته ما كان من شأنه وشأن قلبه فى صدر حياته ، فكان دائم الحديث عن هذا العهد كلما رقّت به سانحةٌ من سوانح الماضى تذكره ما كان من أمره ما آل إليه أمره .

ليس قصدي الآن أن أتحدث عن الحب فى تاريخ الرافعي ، فإن للحب فى تاريخه فصلاً ضافى الذيول كثير الألوان متعدّد الصور له مكانة المفرد من هذا البحث فى غير هذا الباب . لكني أتحدث عن الرافعي فى بكرة شباب فما لى مندوحة عن الإلمام بما كان يصطرع فى نفس الرافعي في بكرة الشباب .

***

عاش الرافعي لفنه ولنفسه من أول يوم ، فما عاقته الوظيفة عن أن يكون كما أراد أن يكون ؛ على أنه كان إلى اهتمامه بفنه وعنايته بكماله ، وعلى أنه كان لا يرضى أن تتعبده قوانين الوظيفة وتقيده أغلالُ النظام الحكومي – كان إلى ذلك دقيقاً فى عمله الرسمي دقة تبلغ الغاية . وكان إليه تقدير رسوم القضايا والعقود ونحوها مما يتصل بعمل المحكمة ؛ فكان كاتباً حاسباً لا يفوته شىء مما يسند إليه ، حتى آل أمره من بعد إلى أن يكون المرجع فى هذا العمل لكتاب المحكمة جميعا ، يستفتونه فيما أشكل عليهم من الأمر فى تقدير الرسوم ؛ ثم لكثير من كتاب المحاكم فى مختلف البلاد ، ثم لوزارة الحقانية نفسها وهي المرجع الأخير ، تكتب إليه فى دواوية مكتبة من محكمة طنطا تسأله الرأي فى حسبة أو إشكال أو شىء مما يتصل بذلك ، فيكتب إليها بالرأى لتبلغه فى منشور عام إلى كل المحاكم الأهلية .

وكان عليه العبء من هذه الناحية فى محكمة طنطا ، وقد طلب أكثر من مرة أن يحال إلى المعاش ليتفرغ لفنه ، فما كان يمنعه من المضى فى طلبه إلا ذعر سائر موظفي المحكمة وإلحاحهم عليه أن يبقى لئلا يخلو موضعه .



شباب الرافعي

وكان فى صلته بموظفى المحكمة الذين يشركونه فى عمله نبيلاً كريم الخلق إلى حد بعيد ، فكان يتطوع ليحمل عنهم تبعة كل خطأ يقع فيه واحد منهم مهما كان مدى الخطأ ونتيجته ؛ وقد رأيته مرة فى صيف سنة ١٩٣٤ وقد لزمه مفتش من مفتشى الحقانية ثلاثة أشهر أو أكثر ، يستجوبه عن خطأ فى تقدير الرسوم لأكثر من مائة وعشرين قضية ، بلغ النقص فى الرسوم المتحصلة عنها بضعة وتسعين جنيها ؛ والرافعي يرد المفتش ويدافعه ويرى له الرأى ويصف له العلاج ، والمفتش دائب على الحضور كل يوم يبحث ويفتش ويستقصى وما ضاقت به أخلاق الرافعي ؛ على حين لم يكن على الرافعي فى هـذه القضايا المائة والعشرين خطأ واحـد ، وما كانت إلا من أخطاء زملائه فى المكتب حمل عنهم تبعتها حتى لا يتعرضوا لشرٍّ هو أقدر منهم على الخلاص منه .

وكان من اعتداده بنفسه وحفاظه على كرامته بحيث لا يسمح لرئيس مهما علا منصبه وارتفع مكانه أن يجحد منزلته أو ينال منه أىَّ نيل ؛ وكان يفرط فى ذلك إفراطاً يدعو إلى الشك أحيانا فى تواضع الرافعي وكرم خلقه وحسن تصرفه .

من ذلك أنه لما كان هذا المفتش يؤدى عمله فى المحكمة – وكان عمله التحقيق مع الرافعي – كان الرافعي يُلزم المفتش أحياناً أن يحضر هو إلى مكتب الرافعي فى حجرته الغاصة بالموظفين ليسأله وهو جالس إلى مكتبه والمفتش على كرسيه إلى الطرف

الثانى من المكتب . وكنت إحدى هذه المرات جالساً إلى جانب الرافعي ـ وكان يستدنيني ويشركني فى عمله حين أذهب لزيارته فى الديوان ـ فلما جاء المفتش هممت بالانصراف ، فشد الرافعى ذراعى بعنف وهو يقول : « إجلس يا أخى . . . » ووجه إليه المفتش سؤالاً ، فالتفت الرافعى إلىّ قائلا : « فَهِّمه من فضلك يا شيخ سعيد أحْسن مُش قادر أفَهِّمه . . . (١) » ثم التفت إلى المفتش قائلاً وهو يشير إلىّ : « حضرته مدرس ، يقدر يخلِّيك تفهم . . . ! »

لم يكن اعتداد الرافعى بنفسه يبلغ به إلى مثل هذا الشذوذ فى كل أحواله ، وإنما كان كذلك مع هذا المفتش بخاصته ، لأنه كان يعتقد أنه يرى إلى إحراجه والتضييق عليه لقضايا مدنية كانت بين الرافعي وبين أصهار هذا المفتش ولم يقبل فيها الرافعى شفاعته .

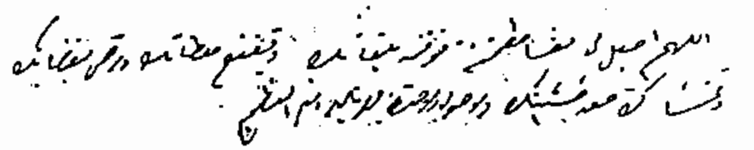
وكان من تقاليد المحكمة كلما نقل إليها قاض أو نائب جديد ، أن يهرع إلى مكتبه موظفو المحكمة يهنئونه ويتمنون له ؛ فما أكثر ما كان يتخلف الرافعى عن وفد الموظفين ، ويظل وحده فى مكتبه ؛ فإذا فرغ القاضى أو النائب من استقبالهم ، مضى هو إلى مكتب الرافعى فى حجرته ، فينهض الرافعى لاستقباله ، فيقفان لحظة يتبادلان الشكر والتهنئة على هذا الاتفاق الذي هيأ لهما هذا التعارف . . . ثم يذهب إليه الرافعى بعد ذلك في مكتبه ليشكر له ويكرر التهنئة .

حتى مدير المديرية — ومحكمة طنطا هى جزء من ديوان المديرية — لم تكن صلته بالرافعى صلة المدير الحاكم بموظف صغير فكانت بينه وبين أكثرهم صلات من الود والصداقة فوق ما يعرف من الصلات بين الموظفين ؛ ولكن منهم رجلا واحداً كان أقرب قرابة إلى الرافعى من أهله ومن خاصته ومن . . ومن تلامذته هو صاحب السعادة محمد محب باشا أقدر مدير عرفته مديرية الغربية منذ كانت مديرية ؛ وكان للصلة بين الرافعى ومحب باشا أثر كبير فى أدبه سنتحدث عنه فيما بعد

* * *

لم يكن للرافعى ميعاد محدود يذهب فيه إلى مكتبه أو يغادره ؛ فأحياناً كان يذهب فى التاسعة أو فى العاشرة ، أو فيما بين ذلك ، فلا يجلس إلى مكتبه إلا ريثما يتم ما أمامه من عمل على الوجه الذي يرضيه ، ثم يخرج فيدور على حاجته ، فيجلس فى هذا المتجر وقتاً ما ، وعند هذا الصديق وقتاً آخر ، ثم يعود إلى مكتبه قبيل ميعاد الانصراف لينظر فيما اجتمع عليه من العمل فى غيبته ، وقد لا يعود ...

وكان هذا منه يغضب زملاءه فى العمل ، فكانوا ينفسون عليه ويأكلون لحمه ، ويبلغه عنهم ما يتحدثون به فيهز كتفيه ويسكت ، ثم لا يمنعه ذلك من بعد أن يأخذ بيدهم عند الأزمة ؛ وكان كتبة المحامين وأصحاب المصالح فى المحكمة يسمونه بذلك عمدة المحكمة . . . !


خط الرافعى

وحدث مرة أن جاء إلى محكمة طنطا رئيس شديد الحول ، فلما صعد إليه موظفو المحكمة للتهنئة ، لم يجد بينهم الرافعى ، فلما سأل عنه تحدث الموظفون فى شأنه ما تحدثوا ؛ فاستاء الرئيس وأرسل يدعوه إليه ، فلم يجده الرسول فى مكتبه ، فغضب الرئيس وثارت ثائرته ، وأمر باستجوابه عن الاستهانة بنظام المحكمة ومواعيد العمل الرسمى ؛ وجاء الرافعى فبلغه ما كان ، فهز منكبه وجلس إلى مكتبه يمزح ويتحدث على عادته كأن لم يحدث شئ ؛ ورفع الرئيس كتابه إلى وزارة الحقانية ، يبلغها أن فى محكمة طنطا كاتباً أطرش ، لا يحسن التفاهم مع أصحاب المصالح على شدة اتصال عمله بمصالح الجمهور ، وهو مع ذلك كثير التهاون بنظام المحكمة ومواعيد العمل ولا يخضع للرأى ... وطلب الرئيس فى آخر كتابه إقالة الرافعى من الخدمة ...

وأرسلت وزارة الحقانية مفتشها لتحقيق هذه الشكوى ، وليرى رأيه فيما طلبته محكمة طنطا ؛ وكان المفتش المندوب لذلك

(١) آثرت فى هذا الخبر أن أرويه كما جرى باللغة العامية ، ليتأدى معناه إلى قارئه على وجهه . وكان الرافعي ينادى خاصته والمقربين إليه : « يا شيخ فلان ... » على اختلاف منازلهم وأعمالهم ولباسهم ؛ ولم يكن كل أحد يتأهل عنده هذا اللقب .

و الشاعر اللبق الظريف المرحوم حفنى ناصف بك . ولم تكن ن الرافعي وحفنى ناصف صلة ما إلى هذا الوقت ، إلا ذلك النسب بعيد الذي يجمع بينهما فى أسرة أبو لون ... وإلا ... وإلا تلك بكلمة القاسية التى كتبها الرافعى بأسلوبه اللاذع عن (شعراء مصر) سنة ١٩٠٥ ونشرها في مجلة الثريا وجعل فيها حفنى صف ذيل الشعراء ...

وجاء حفنى ناصف إلى الرافعى فحيا وجلس ، وبسط أوراقه بحقق ... وقال الرافعي : قل لهم فى الوزارة : إن كانت وظيفتى نا للعمل ، فليؤاخذونى بالتقصير والخطأ فيما يُسند إلىّ من عمل ؛ إن كانت الوظيفة : تعال فى الساعة الثامنة ، واجلس على الكرسى كأنك مشدود إليه بحبل — فلا علىّ إن تمردت على هذا التعبد .. ل لهم فى الوزارة : إنكم لا تملكون من الرافعي إلا هذين لإصبعين ساعات من النهار ... !

واستمع الأديب الشاعر إلى حجة الأديب الشاعر ، ثم طوى وراقه وحيا صاحبه ومضى ؛ فلما كان فى خلوته ، كتب تقريره ى وزارة الحقانية يقول :

إن الرافعى ليس من طبقة الموظفين الذين تعنيهم الوزارة بهذه قيود ... إن للرافعى حقاً على الأمة أن يعيش فى أمن ودعة حرية ... إن فيه قناعة ورضى ، وما كان هذا مكانه ولا موضعه لم يسكن إليه . دعوه يعيش كما يشتهى أن يعيش ، واتركوه يعمل ويفتنّ ويبدع لهذه الأمة فى آدابها ما يشاء أن يبدع ، وإلا كفلوا له العيش الرخىّ فى غير هذا المكان ..!

وبلغ التقرير وزارة الحقانيــة ، وانطوت القضية ، وصار تقليداً من تقاليد المحكمة من بعد أن يغدو الرافعى ويروح سلطان لأحد عليه ، وله الخيرة في أمره ؛ ولكنه مع ذلك لم يهمل فى واجبه قط ، ولم ينس يوماً واحداً أنه فى موضعه ذاك حيث يرتبط به كثير من مصالح الجمهور .

قلت : إن الرافعي لم تكن بينه وبين حفنى ناصف صلة ما . لكن حفنى تولى القضاء بعد ذلك مرة أو مرتين فى محكمة طنطا تقاربا وتوثقت بينهما أواصر الود ؛ وكانت طنطا فى ذلك الوقت حلبة من حلبات الشعر والأدب ؛ فلا يمضى أسبوع حتى يقدم فيها أديب أو شاعر لزيارة الشاعرين : حفني والرافعى ، فيقوم للشعر سوق ومهرجان . وكان بين الرافعى وحفنى من التقارب فى الصفات ما يؤكد هذه الصلة ويوثق هذا الود ؛ فكلاهما شاعر ، وكلاهما من دعاة القديم ، وكلاهما أديب مرح يجيد الدعابة ويستجيد النكتة البكر ، وإن كانت فكاهة حفني أظهر وأبعث على الضحك وتكشف عن فراغ القلب ، وفكاهة الرافعى أعمق وأدل على قصد العبث والسخرية وامتلاء النفس . ولعل روح الفكاهة فى الرافعى كان لها شأنها فيما كان بينه وبين المرحوم حافظ إبراهيم بك من صلة الود والاخاء .

حدثنى الأستاذ الأديب جورج ابراهيم — صديق الرافعى وصفيُّه منذ حداثته — قال : لقد كانت الصلة بين الرافعى وحفنى أكثر مما يكون بين الأصدقاء ، وكانا يتزاوران كثيراً ، أو يجتمعان فى قهوة (اللوفر) بميدان الساعة ، وكنت أغشى مجلسهما أحياناً . . . فكنت أرى حفنى يتواضع للرافعي ويتصاغر فى مجلسه ، على مقدار مايتشامخ الرافعي ويتكبر ويدعي الأستاذية ، حتى ليرى له الرأى فى القضايا التى لم يدرسها حفنى بعد ، فلا يحكم فيها إلا بما حكم الرافعى !

* * *

ظل الرافعي فى وظيفته تلك ، موزع الجهد بين أعماله الرسمية وأعماله الأدبية وما تقتضيه شئون الأب وشئون رب الدار ، على المورد المحدود والبساط الممدود . . . وما زاد مرتب الرافعى الشاعر الكاتب الأديب الذائع الصيت فى الشرق والغرب ، الموظف الصغير فى محكمة طنطا الكلية الأهلية ، على بضعة وعشرين جنيهاً فى الدرجة السادسة ، بعد خدمة ثمان وثلاثين سنة فى وظائف الحكومة . . .

على أن الرافعي كان له مرتب آخر من عمله فى المحكمة ، هو ثمن ما كان يبيع من كُتبه للموظفين والمحامين وأصحاب القضايا الذين يقصدون إليه فى مكتبه لعمل رسمى ؛ فما كان أحد منهم يستطيع أن يظفر برضا الرافعي فيقضى له حاجتــه ، حتى يبيعه كتاباً من كتبه . وكانت ضريبة فرضها الرافعى من طريق الحق الذى يدعيه كل شاعر على الناس !

ليت شعرى أكان على الرافعى ملام أو معتبة أن يفعل ذلك . .؟ لنا الله أيها الأدباء فى هذه الأمة التى لا تحفظ الجميل !

« لها بقية » (طنطا) محمد سعيد العريان

أدب الميوعة والدلال

للسيد ماجد الأتاسي

منذ أسابيع خلت نعى أستاذنا « الزيات » فى مقاله البليغ « أدب السندوتش » ، على أدباء هذا الجيل النابتين « جهلهم للغتهم ، وتقصيرهم فى تحصيل آدابها » .

ثم علق الأستاذ « المـازنى » على هذا المقال ، وحدثنا عن شغفه بالكتب في أيام تحصيله الأولى ، وعن جلده على القراءة والدرس ، وقص علينا قصته مع كتبه يوم زواجه ، وكيف آثر الخلوة إلى هذه «الضرة» صباح يوم الجلوة على الجلوس والتحدث إلى زوجه العروس التى لاقت من «ضرتها» كل مايسوء ويضجر والتى نسأل الله لها الرحمة والرضوان ، وإلهامها أن تقابل ما تجد من اغتياب أستاذنا لها فى شتى المناسبات ، بالصفح والغفران ، وهى آمنة مطمئنة فى فسيح الجنان .

ثم تناول الأستاذ « أحمد أمين » هذا الموضوع بالبحث والدرس ، والتحليل والتعليل ، ووعدنا أن يعود إليه — كرة أخرى — ليصف لنا طرق العلاج ، وفنون الدواء من «صيدليته» ولعله يفعل .

وأخيراً عالج الأستاذ « العقاد » أدب « السندوتش » من — الوجهة العالية — وأتى على عوامل شيوعه وتفشيه فى آداب الأمم الأخرى المعاصرة .

وهكذا تداول أساتذتنا الأئمة هذا الموضوع من أكثر من ناحية — بالبحث والدرس ، والتحليل والتعليل

وما كان لى — وأنا أحبو على عتبات الأدب حبو الأطفال وأحمل فى ميدانه أجسام الأقزام — أن يدفعنى مايلابس — عادةً — نفوس الشباب ، من الغرور والصلف والتهور والنزق ، إلى أن أزج بنفسى بين أرجل هؤلاء العمالقة الأئمة الأخيار .

ولكننى أحببت — ولست أدري لم — أن أصرف أستاذى « المـازني » ساعة عن هذه « الضرة » الباقية التى يهيم بها ، والتى لايطيق لها هجراً ولا بعداً ، وأن أثقل فأهذر — أمامه — حيناً ، فعهدى به أنه محظوظ من جماعة الثقلاء ، فلكم طرقوا بابه موهناً وهو يغط فى نومه ، وسحبوه من فراشه لسؤال أو مزاح . ثم إنى — بعد هذا — أطمئن وأقول له إننى لست من هؤلاء الشباب « الناعمين » أبناء الجيل الجديد ، الذين جاءوه زائرين ، فأذاقهم « علقته » وردهم إلى الباب مدحورين ، ثم فضحهم وشهَّر بهم « في الرسالة » أمام الناطقين بالضاد أجمعين .

لئن نعى الأستاذ « الزيات » والأساتذة « المازنى والعقاد وأمين » من بعده ، على أدباء هذا الجيل الناجين ، جهلهم بلغتهم ، وتقصيرهم فى تحصيل آدابها ، فما أحقنى إذن ، أن أشغب على زملائى الناشئين — وعلى الكهول فى سوريا أيضاً — فأنعى عليهم جميعاً : ضعف النفس ، وضمور الشخصية ، وقلة الاستعداد لحمل رسالة الفكر الحر ، والعقيدة الثائرة ؛ وأن أسمى هذا النوع من حملة الأقلام « أدباء الدلال » بعد أن أسمى أستاذى « الزيات » أدبهم « أدب السندوتش » هـذا الذي تقوم ثقافته على « نتفات من الكتب ، ولقفات من الصحف ، وخطفات من الأحاديث » والذي نجد نتاجه « مختضراً مبتسراً كجنين الحامل أسقطته قبل التمام » .

إن شأن اللغة فى الأدب الفحل ثانوى بالقياس إلى نفس الأديب وشخصيته ، وإن الجهل بها والتقصير فى تحصيل آدابها ، من السهل واليسر — إلى حد بعيد — أن نعالجهما ونبرأ منهما ، إذا ما تعهدناها بالارادة القوية ، والعزيمة الحازمة ، والكدح الصابر ، والمعاناة الجلدة .

ولكن اللغة بلا نفس تنفخ فيها الحيـاة ، ولا شخصية تطبع هذه الحياة بطابع خاص ، ودون فكرة تذاع ، لاتكون إلا حطاماً تدوسه الأقدام ، وقرقرة تعافها الآذان

كثيرون وكثيرون من الأدباء أوفوا فى معرفة لغتهم على الغاية ، وأشرفوا فى تحصيل آدابها على الذروة ، ولكن طبيعتهم التى لابستهم ، وبيئتهم التى أخرجتهم ،وعوامل أخري ، كل هذا لم يهيئ لهم النفس التى تهدم لتبنى ، والشخصية التى تستقل لتهيمن ، فتهوروا وتدهوروا وانحدروا إلى الوادى بين جموع الناظمين والمنشئين واللاعبين ، من حيث طفر إلى القمة أهل النفوس والشخصيات ، فتبوؤا قمم « أولمب » واستقروا فى جنات « عبقر » ذلك لأن قوام الخلود فى عالم الأدب ، نصيب هـذا

الأحب من فيض الحياة وزخرها ، وقسطه من معرفتها وخبرها .
هذه الحيـاة التى أعدت للرجال أهل العود الصلب واللسان العضب ، محرمة على من ضعفت نفوسهم ، وضمرت شخصيتهم ، ولانت قناتهم ، وموصدة أبوابها دون أولئك الذين يتهيبون مجاهلها ، ويخافون جدها ،ويجفلون من عثارها ، ويعولون جياعاً على عتباتها ، والذين لاتحملهم أقدامهم الرخوة للجرى فوق شوكها ، والوثب على صخورها

هؤلاء « النـاعمون المدللون » أهل الدلال والدعة ، هم الطفيليات فى هـذه الحياة ، وهم ــ بالتالى ــ متطفلون على موائد الأدب ، وليس للمتطفلين فى عالم الأدب بقاء

بل أنا أذهب إلى أبعد من هذا ، فأقول بأن أصحاب النفس الشديدة ، والروح القوية ، والشخصية الجبارة ، يتهيأ لهم من حسن البيان ، وجودة المقال والارتفاع بفنون الـكلام ، ماتتقطع دونه أقلام من تمـكنوا من ناحية اللغة ، وتفقهوا فى أساليبها ، وبصروا بنتاجها ، من أهل البرودة والنعومة والدلال

ذلك لأن الفـكرة فى النفس القوية قوة ، قوة عاصفة جامحة ترون ، « تـكهرب » لهـا الأعصاب المرهفة ، ويثور لحملها الوجدان ، فما تجد النفس ترفيها وتنفيساً إلا فى أن تقذف بها فى أسلوب نير كومضة البرق ، قوي كالحمم تنطلق من فوهة البركان ، بلغ يرتفع فى آفاق البلاغة والبيان إلى ما تتقطع دونه علائق الأحلام والأفهام

هذا هو الأستاذ البشرى يقول : « إن السيد جمال الدين الأفغانى كان غريباً عن العربية ، وإن قاسم أمين كان شبه غريب عنها ، وإن حسين رشدى باشا كان قل أن تطرد على لسانه ثلاث كلمات عربية متواليات ، ومع هذا كانوا يرتفعون بالعبارة أحياناً إلى ما يتخاذل من دونه جهد أعيان البيان »

ولا عجب من هذا ، ألا ترى إلى مقالنا ، كيف يبين ويرتفع فى سماء الوجدان ساعة ثورتنا وغضبتنا ، إلى ما لا قدرة لنا عليه فى ساعة الرضى والاطمئنان ؟

كذلك هى النفس القوية ، أبداً فى ثورة عاصفة ، وغضبة جامحة ، وكذلك هى أبداً فى تحفز للوثبة ، وتأهب للطفرة والهجمة

فان لم تجد أمامها ما تحطم ، رجعت إلى قرارتها تثير حرباً عواناً بين خيرها وشرها ، وحقها وباطلها ، وتقاها وفجورها ، لأن الهدوء والركون صور من صور الموت ، والنفس القوية لا تعرف فترات الموت والبرودة والجمود ، ما دامت تبصر النور ، وتتنفس الهواء .

* * *

الحياة سفر الأديب الموهوب : وهى صراع دائم بين الغى والرشد ، والحق والباطل ، والجمال والقبح ، والهدى والضلال ، والحب والبغض ؛ فالأديب الحق هو الذى ينزل إلى ميدان هذه المعركة المحتدمة ، يقاتل ويناضل ويصاول فى سبيل الرشد والحق والهدى والحب والجمال ، إلى أن يحطم أصنام الشر والبطل ، ويهدم حصون الضلال والقبح ، أو يتحطم هو على أقدام الحق الذى ناضل فى سبيله ، وتحت ظل الراية ، التى نافح عنها ، وهكذا يلفظ النفس ، راضى النفس ، مطمئن الضمير ، هادىء الخاطر ، يبسم لأحلام القبر كما نسعى إلى الفراش إذا مسنا اللغب وأثقل جفوننا النعاس ، فنسحب اللحاف ، ونسبله علينا ، هادئين باسمين لنستسلم إلى الأحلام .

هذه هي الحياة ؛ وهذه هى رسالة الأديب : قطع الصخر ، وتجرع الصاب ، وتحطيم الأصنام ، والطفرة على حطامها إلى قمم المجد ، وسماء الخلود .

فهل أعد أدباؤنا الناشئون — والـكهول أيضاً — نفوسهم ومهجهم وأدمغتهم لهذه المعركة التى وقودها النفوس الطامحة ، والقلوب الراغبة ، والضمائر الحرة ، والعقول النيرة ؟

اللهم لا ! اللهم لا !

من يمترى فى هذا فلا ينعى على أدبائنا الناجين — وعلى الـكهول عندنا — رخاوة العصب . والدلال والدعة والأنوثة واللين ؟

من يمترى فى هذا ، فلا ينعى عليهم ضيق الأفق ، وقحط الخيال ، وقصر المدى ، وضعف الجنان ، وتهيب القديم لأنه قديم ، وحب الجديد لأنه جديد ، والحرص على السلامة والمسالمة ، والراحة والركون ، والنفرة من المصاولة والمعاركة وقلة الجلد على حياة الجهد والتعب والضوضاء ، والتهيب من التجربة والاقدام ،

وضعف التعلق بالحق والمثل الأعلى والجمال ؟

إن حياة الأدباء أصبحت مضرب المثل ، ووحدة القياس ، في خمول النفس ، وكسل العقل ، وضعف الاستعداد للحياة ؛ فاذا قيل لك : هـذا أديب فاعلم أنه من هؤلاء الذين يخرجون إلى الشارع ، والفراش على أكتافهم « والمخدة » فوق ظهورهم .

أجل ؛ إننا لا نرى من ينقطع إلى الأدب من شبابنا إلا الذين خانتهم أقدامهم في الوثوب إلى مراقي المجد ، والطفرة إلى قمم الظفر والذين نزلوا إلى ميادين الحياة ، فلما بلوها وبلتهم ، وعجموها وعجمتهم ولوحت لهم بسياطها من بعيد هرولوا وارتدوا على أعقابهم ناكصين حائلة ألوانهم ، مرتعدة فرائصهم ، ثم انتحوا جانباً قصياً من الطريق ، بعيداً عن مواطن أهل الرجولة والإقدام ، على غرار العاجزين المتسولين الذين يقبعون في زوايا الشوارع القـذرة ، أمام أهل الأعمال .

هاهم أولاء شباننا الذين يخفقون في الشهادات «والبكالوريات» تسألهم : ما تصنعون ؟ فيقولون : ندرس الأدب . وهكذا أصبحت دراسة الأدب صناعة العجز ، ودليل الخور ، وبرهان الفقر في المواهب ، أو الضعف في النفس . وقد ينتهي هؤلاء إلى شيء ما في دراستهم هـذه ، فتراهم يصيحون نائحين في مآتم الموتى ، أو مهرجين في حفلات الأحياء ، أو حارقين للبخور أمام أهل الجاه

ولا عجب من هذا ، فهم لا يصلحون للحياة ، ومن لا يصلح للحياة لا يصلح لحمل القلم ، والوقوف في صفوف الأدباء

ثم هذه هي المقاهي ، ودور البطالة واللهو والعبث ، أصبحت ملاجئهم يلجأون إليها كما يلجأ العجزة إلى دورهم وملاجئهم ، ويفرون إليها من زحمة الحياة ، وهم يقرقرون ويموءون وينقنقون

أعرف أديباً كهلاً — أو على الأصح متأدباً — : أفتدرى يا صاحبي ما هى رسالة أدبه ؟ رسالته — بالضبط — رسالة «عميان الجنائز» والنائحات اللاتى يستأجرن في المآتم للندب واللطم والشق والعويل ، أو رسالة « البرابرة » الذين يستأجرون في مصر لتأديب المآدب ، وتنظيم الحفلات

يسمع أن صديقه فلاناً قد مرض ولزم الفراش ؛ وقد يكون مابه لفحة حر ، أو زكام طفيف ، فهو — منذ أيام المرض الأولى — يعد لصديقه العزيز مرثيته العصماء ليبكى فيه — إذا ما مات وأظنه يريده أن يموت ليرثيه — ليبكى فيـه النجم الذى أفل ، والبحر الذى نضب ، والرحمة التي رفعت ، والرجولة التي فقدت . ويسمع أن « فلاناً » وهو من أهل الجاه الطويل العريض — سيؤم المدينة بعـد أيام ؛ فاذا قدم كان صاحبنا الأديب الخالد أول المستقبلين والمرحبين ، وكان أول الخاطبين بين يديه والمـادحين ؛ وقد يكون هذا العين ممن لا يعرفهم صاحبنا إلا « بالسلام » وقد يكون من هذه الطبول المنفوخة الجوفاء التى تقع عليها في طريقنا صباح مساء ؛ وقد يكون ممن كان يشهر بهم أديبنا آناء الليل وأطراف النهار ؛ وقد يكون من هؤلاء المجرمين الذين يروحون ويجيئون أمامنا بأثواب القديسين والأقطاب ، فنسجد لهم ونحملهم على الأعناق ؛ قد يكون هذا العين من كل هؤلاء ، ولـكن أديبنا لا يتحرج إذ يخلع عليه الألقاب ، وإذ يغرقه بالتحيات ، ويجعله في البلاغة سحبان وإن كان أعيا من باقل ، وفي الـكرم حاتماً وإن كان أبخل من أشعب ، وفي الشجاعة عنترة وإن كان أجبن من أبي دلامة

وليت هذا الرثاء وهـذا المديح كانا من وحي الخاطر ، ومن بنات القريحة ؛ وإنمـا هما سرقات من الـكتب رصفت رصف الحصى ، ونتفات من الدواوين ركبت تركيب « اللعبة »

أعرف أديباً آخر — أو على الأصح متأدباً — أفتدرى يا صاحبي ما رسالته ؟ رسالته هى مهمة « سماسرة » القطن في مصر أو « سماسرة » البصل والثوم عنـدنا في سوريا . إذا كان الصباح يدعو إلى الانتـداب ، ويتغنى بمآثره و « يسمسر » له ؛ وإذا كان الضحى ، وكان الحكم الوطنى ملأ الجو بالتصفيق ، وحطم الآذان بقصائده ينشر فيها مجد بنى عبد شمس ، ويذيع فيها صنيع أبناء عدنان ؛ وهو « يسمـر » للحكم الوطنى لأن بيـد الحاكمين مناصب الدولة ، ورياسـة ديوان وزارة المعارف ؛ وهو عند الأصيل معارض للحكومة الوطنية ، متحمس في معارضته ، مسرف فيها ، لأنهم طردوه ولم يقبلوه ، وهو أخيراً في المساء رجل مسالم يقف بعيداً « على الحياد » لا يدعو إلى شيء ولا يؤمن بشيء لأنهم لوحوا له من بعيد بالسوط ، مهرول إلى عقرداره ، مضطرب

النفس ، مهتز القلب ؛ وآثر السكوت والرضى بالواقع على الشغب المغرض ، والنعيب المضجر

أعرف متأدباً قيل له ذات يوم « لم لا تنتسب إلى هذا الحزب ومبادئه كيت وكيت؟ » فقال : « إنني أؤمن بمبدئه ، وأرضى عن منهجه ، وأطمئن إلى برامجه ، ولـكن خصومه أصدقائي وصحبي ، فلا قدرة لي على خصامهم ! . . وعلى أن أكون حرباً على هذا الحزب بين صفوفهم ! . . »

هـذه خطوط هي إلى اللمحات الخاطفات أقرب منها إلى الصور الجامعات ، أوردناها — على عجل — لتلمس أيها القارئ نواحي من هذه الحياة التي يضطرب فيها جماعة الأدباء ، والتي هي ضرب من ضروب الجمود بل الموت .

* * *

يزعم أدباؤنا أن سماءنا غائمة ليس لها روعة الإيحاء والالهام ، وأن آفاقنا ضيقة ليس لها القدرة على تفتيق الأذهان والأحلام ، وأن حياتنا جامدة ليس فيها من فيض الحيـاة ما يحرك الشاعر والأوتار .

لا ! لا ! لم تغم السماء ولـكن عيونكم حسـرى ما ترتفع ، ولم تضق الآفاق ولـكن أذهانكم لم تفتق ، ولم تتجمد حياتكم ولـكن أوتار قلوبكم ما تتحرك .

ها هنا زعمـاء يرقصون على قبور الأمة ، ويرتفعون على أشلاء الشهداء ، ويتناصرون لاقتسام الغنائم تناصر الذئاب الجائعة أمام الجيف في أقصى الصحراء ، والناس — على رغم هذا — يحملونهم على الأعناق ، ويحرقون أمامهم البخور ، ويهتفون باسمهم أطراف الليل وآناء النهار

في كل مكان مرجفون يرجفون ، ومضللون يكذبون ، وغادرون يغدرون ، وماكرون يمكرون ، وجاهلون يتعالمون ، وأغبياء يرتفعون ، ومجرمون في ثياب الأقطاب والأولياء ، وبين الهتاف والتصفيق يروحون ويجيئون .

والحقيقة في كل هذا تشرد فلا مأوى ولا مصير ، والفضيلة تستغيث وتستجير فلا مجير ولا نصير .

أليس في كل هذا ، ما يلهب الحقد والضغينة في صدر الأديب ويحوله إلى طاغية غشوم ، يبطش بلا رحمة ولا هوادة ، في أهل المجد المزيف المجرم ، والجاه الملوث الكاذب ؟

في كل مكان أمة تصنع لقمتها من دمعها ودمها وقطع كبدها ثم ترفعها بيدها المرتعشة المشلولة إلى فمها لتسد رمقها ، فاذا اليد القوية تمتد إليها وتتخطفها ، وهي على شفتيها ، والسوط يهتز في يسراها .

في كل مكان نعاج رواقص على سكينة الجزار ، وسياط هاويات على ظهور المستضعفين من العبـاد ، وعذارى يشردن ويبعدن عن أوطان الآباء والأخوة والامهات ، وشذاذ الآفاق يشترون الضمير البشرى بالأصفر الرنان ، وذئاب « جنيف » تعصف بها غرائز الوحشية والجشع ، فتنتشر في بقاع الأرض الآمنة المطمئنة ، تثير الفتنة ، وتبعث الروع ، وتستنزف الدماء ، ومن ورائها الخبث الأوروبي يحارب في سبيل السلام ، ويبغض في سبيل الحب ، ويرهب في سبيل التأديب ، ويسرق في سبيل الاطعام ، ويوقظ الفتنة في سبيل الأمان !

أليس في كل هذا ما يشعل النخوة في رءوسكم ، ويحرك المروءة في نفوسكم ، ويثير الغيرة في قلوبكم ، ويدفعكم إلى إغماد أقلامكم في أفئدة هذه الذئاب ، وصوغها أسرّة لهذه العذارى المشردات ، وإرسالها سهاماً في صدور الظالمين الطغاة ، ورفعها أعلاماً خفاقة للحق والخير والجمال ؟

أين أنتم يا أصحاب المشاعر الرهيفة ، والقلوب الرقيقة ؟ يقولون « الأدب نزيف القلب : طاهره ورجسه ، ونشيد الشعور : نبيله وخسيسه ؛ ومعيار القوة فيه أن ينزف القلب فيتفجر ، وأن ننشد فنبدع . » إذن ، لم لا تسمعوننا دقائق من زئيركم ، إلى جانب الشهور الطوال من نحيبكم نحيب الأطفـال ، ونواحكم نواح العجائز ؟

ستقولون : « هـذا ما يجرى على اللسان . وما يفيض عن القلب » ؛ وسنقول لـكم : « إنكم مرضى في أعصابكم ، يا أنصاف الرجال ، وأشباه النسـاء . »

بلى ! يا طلاب الأدب الباكى النائح ، يا عجائز الفن

هؤلاء هم آباؤكم وأمهاتكم وأبناء عشيرتكم ، يزجون فى السجون ، ويرسفون في القيود ، وتتلظى رقابهم على شفرات منجل الجلاد ؛ ترتعش جفونهم المثقلة لتلمح ومضات النور ، وتلهث صدورهم من خناق الكهوف ، ويغلي فى صدورهم الشوق إلى مروج الحياة الحرة ، حيث ترقص عرائس الأحلام والآمال فى أحضان الربيع . . .

أليس من جمود الحس ، وبلادة الشعور ، وغلظ القلب ، أن تشربوا كأسكم على قبور الآباء ، وأن ترقصوا فى مأتم الأمهات ، وألا تحرك أوتار قلوبكم هذه الأمانى المشتركة الطوال العراض ، وألا يهيمن على نفوسكم هـذا الموقف الذى تمازج فيه الأنوار بالظلمات ، والآلام بالآمال ، والضجر بالرغبات ؟ فما نراكم إلا مائلين بنحيكم جو الرجال ، وقارعين آذانهم بنواح « الدلع » والدلال ؟

المجد ، والشهرة ، والنبوغ ، والخلود : كل هذا من عرائس القلب ، وحسان الخيال .

لم لا يوقظ الحب في قلوبكم ، وتلهب الشهوة فى جسومكم عرائس هذه المواطف العليا اللاتى يرقصن على أكف النجوم عاريات ، ويمرن على ظهور القرون غانيات ، ويضربن على أوتار التاريخ منشدات ، ويقطفن أكاليل الغار من رياض الجنان ، ليعصبن بها رءوس المجانين من أهل العشق والغرام ؟

لم لا تترامون على أقدام هذه العرائس التى يشع منها نور الرجولة ، وتتفتح تحتها أزهار الحياة ، بدل أقدام غانياتكم التى يفوح منها روائح الرجس والخزى والعار ، والتي مصيرها إلى فجوة قذرة فى جوف التراب ؟ أليس فى اختطاف الرجال رغباتهم من يد الأقدار ، وركوبهم مراكب الهول فى سبيل الآمال ، وتبوئهم عروش النصر مضمخة بالدماء ، أليس فى كل هـذا مايبعث فيكم عواطف الرجولة والشدة والبأس ، بدل الأنوثة والبرودة والقنوع والدلال ؟

أيها السمعة ، ياشباب الشيوخ ، وياشيوخ الشباب

ابعثوا الثورة والتمرد فى نفوس الناشئين من الأدباء ؛ قولوا لهم : « إن حياة الأديب لاتكون إلا فى ميادين الطعن والضرب والعراك ؛ ولا تهنأ إلا تحت ظلال الحق والحب والخير والجمال ! »

قولوا لهم : « إن القلم الذى تحملونه أعد لتغمدوه فى قلوب الباطشين الظالمين ، والمجرمين الحاكمين ، والأتقياء المزيفين ، فان لم تفعلوا فاغمدوه فى قلوبكم فما خلقت الحياة لتذل جبان رعديد ، وفى القبور مراد للاغبين »

إذا فعلتم هذا ، أيها السمعة الأئمة ، في العالم العربى جميعه ، تصبح معضلة الضعف فى اللغة من الهنات الهينات ؛ وتقر عيونكم بأدباء على غراركم : هم أهل لحل القلم ومجده ، وهم أهل لأن يقولوا عن أنفسهم ماقال (فولتير) عن نفسه « مايمنعنى عن أن أكون ملكا ، وإن لم يزن مفرقى تاج ؟ ! »

أجل ! آنئذ يصبحون ملوكاً على عروش الأدب والبيان ؛ ملوكا تتحطم تحت أقدامهم عروش ملوك البطش والجاه ، وتحمل عروشهم الخالدة أعناق القرون والدهور والآباد .

« حمص سورية » ماجد الأتاسي

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألمانى فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

الشعراء

وقال زارا لأحد أتباعه : منذ بدأت أعرف حقيقة لجسد لم تعد الروح روحاً فى نظرى إلا على أضيق مقياس ، هكذا صرت أرى (كل ما لا يفنى) رمزاً من الرموز .

فأجاب التابع قائلا : لقد قلت هذا من قبل يازارا ولكنك نفت إليه قولك « وكثيراً ما يكذب الشعراء » فلماذا قلت هذا ؟

فقال زارا : أنت تسأل لماذا ، وما أنا ممن يحق عليهم أن سألوا . ما أنا ابن الأمس وقد مر زمان طويل على إدراكي سباب ما أرتأيه ، وهل أنا خزانة تذكارات لأحفظ الأسباب ى بُنيت عليها آرائى ؟ إنما يكفينى عناء أن أحفظ هذه الآراء سها ، أفليس فى العالم عصافير تشرد من أماكنها ؟ ولكم جدت فى قفصى من طير غريب يرتجف إذا ما مرت عليه يدى ع ذلك فماذا قال لك زارا يوماً ؟ لقد قال إن الشعراء كثيراً يكذبون ، وهل زارا نفسه إلا واحد من هؤلاء الشعراء ؟ أفتحسب ، بهذه الصفة قد أعلن الحق ؟ وما الذى يكرهك على تصديقه ؟

فقال التابع : إني مؤمن بزارا .

أما زارا فهز رأسه وابتسم قائلا : ليس الايمان مما يرضينى تي ولو كان هذا الايمان معقوداً على ، ولكن إذا قال إنسان ل جد : إن الشعراء يكذبون ، فانه ليقول حقاً لأننا نحن الشعراء كذب كثيراً ، ولا بد لنا من الكذب ما دام ما نجده من لم قليلا . ومَنْ من الشعراء بيننا لم يغش شرابه وفى سرادبنا تقطر السوائل المسمومة ؟ ولكم فيها من أمور يقصر عن وصفها يان . إن افتقارنا فى المعرفة يهيب بنا إلى محبة مساكين العقول خاصة إلى محبة مسكينات العقول الفتيات . . . فنحن نعود هواتنا إلى الأمور التى تتحدث عنها العجائز فى السمر ونقول ، ما نبحث فيه إنما هو قضية المرأة الأبدية .

يخيل لنا أن أمامنا طريقاً سوياً يؤدى إلى المعرفة وأن هذا الطريق لا ينكشف لمن يدركون الأمور بالعلم ، فنحن لا نؤمن إلا بالشعب وبحكمته . فالشعراء جميعهم يعتقدون أن الجالس على منحدر جبل مقفر يتنصت إلى السكون يتوصل إلى معرفة ما يحدث بين الأرض والسماء . وإذا هم هزهم الشعور المرهف خيل لهم أن الطبيعة نفسها أصبحت مغرمة بهم فيرونها تنحنى على آذانهم لتلهمهم البيان الساحر والأسرار : فيقفون مباهين بالهامهم أمام كل كائن يزول .

واأسفاه ! إن بين الأرض والسماء أموراً كثيرة لا يحلم بها إلا الشعراء ، وهنالك أمورٌ أخرى كثيرة فوق السماء ، فما جميع الآلهة إلا رموز أبدعها الشعراء .

والحق أننا منجذبون أبداً إلى العلياء ، إلى مسارح الغيوم فنرسل إليها أكراً منفوخة ملونة ندعوها آلهة وبشراً متفوقين . والحق أنهم من الخفة على ما يجعلهم أهلا لاقتعاد مثل هذه العروش

ويلاه ! لكم تعبت من كل قاصر يطمح إلى جعل نفسه شيئاً معدودا ؟ ولكم أتعبنى الشعراء ؟

وما نطق زارا بهذا الكلام حتى ثارت نفس تابعه ، ولكنه كظم غيظه فسكت وسكت زارا أيضا وغيض نظره كأنه يسبر أقاصى نفسه ، ثم تنفس الصعداء وقال : أنا من الأمس ومن الزمن القديم ولكنّ فى شيئاً من غد وبعده ومن الآتى البعيد ، فقد أتعبنى الشعراء الأقدمون منهم والمجددون فما هم فى نظرى إلا رغوة لا صريح تحتها ، بل هم أسِرَّة بحار جفت مياهها . إن أفكارهم لم تنفذ إلى الأغوار ، وقد وقف شعورهم عند أول جرفها . وخير ما ترى فى تأملاتهم قليل من الشهوة وقليل من الضجر فليست بحورهم إلا مجالات تتزلق على تفاعيلها الأشباح فهم لم يدركوا شيئاً بعد من القوى الكامنة فى النبرات . لم يبلغ الشعراء درجة النقاء فهم يعكرون جداولهم ليخدعوا الناس ويوهموهم أنها بعيدة الغور ؛ إنهم يريدون أن يقيموا أنفسهم موفقين بين مختلف المعتقدات غير أنهم لا يزالون رجال العمل الناقص السائرين على السبل المتوسطة الحائرة فهم يعكرون المياه بأقذارهم .

وآسفاه لقد ألقيت شباكي فى بحارهم آملا اصطياد خير الأسماك ولكننى ما سحبت هذه الشباك مرة إلا وقد علق فيها رأس إلــه قديم . وهكذا كان يجود البحر بحجر على الجائع . ولعل الشعراء أنفسهم خرجوا هم أيضاً من البحر وفيهم ولا ريب

بعض اللآلىء ، فهم أشبه بنوع من المحار المنع بأصدافه ، ولكم وجدت فى داخلهم بدل الروح شيئاً من الرغوة المالحة . إن الشعراء يقتبسون من البحر غروره ، وهل البحر إلا أشد الطواويس غروراً ؟ فهو حتى أمام أقبح الجواميس يدحرج أمواجه ويبسط أطالس مراوحه وأطراف وشاحه المفضض فيحدجه الجاموس بنظرات الغيظ لأن روحه المقتربة من الشاطىء لا تزال ملتصقة بعلفه ومرعاه فما يبالى بالجمال وبالبحر وببهاء الطواويس . هذا هو المثل الذى أضربه للشعراء . والحق أن فكرهم لطاووس مغرور بل هو بحر من الغرور ، ففكر الشاعر يطلب مَنْ يشاهده حتى ولو كان المشاهد جاموسا .

لقد أتعبنى هذا الفكر وسوف يأتى زمان — وهو قريب — يتعب فيه هذا الفكر من ذاته .

رأيت بعض الشعراء يتحولون عن الشعر ويوجهون النقمة إلى ما كانوا عليه ، ورأيت من يقدِّمون كفّارة للفكر ، وما نشأ هؤلاء المكفِّرون عن الضلال إلا بين الشعراء .

هكذا تكلم زارا . . . .

الفلسفة الشرقيـــة

بحوث تحليلية

بقلم الدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

— ١٦ —

سامكهيا :

عاش الحكيم « كابيلا » مؤسس هذا المذهب فى القرن السادس قبل المسيح كما يظن أكثر الباحثين المدققين . وقد نشأ هذا الظن عندهم من أن أقدم النصوص التى تحدثت عنه وعن مذهبه ترجع إلى القرن الخامس قبل المسيح ، وأنه قد عثر فى هذا المذهب وفي المذهب البوذى على تأثرات قوية متبادلة بين المذهبين بالتساوى مما يدل على أنهما متعاصران تقريباً لاسيما إذا كان بعض تلك النقط المتشابهة واضح الأصلية فى أحدهما والحداثة فى الثانى ، والبعض الآخر على العكس من ذلك تماماً .

سمى هذا المذهب بـ « سامكهيا » لقوله بالتعدد الذى لا يتناهي فى النفوس ، وهو على الأصح مذهب إلحادى لا يقول بإله مسيطر متصرف فى الكون ، وهذه إحدي النقط التى يلتقى فيها مع البوذية التى صورتها لنا نصوص العصر الذى تلا عصر « بوذا » وبعبارة أدق : لعلها إحدى النقط التى تأثرت فيها البوذية بعد موت زعيمها بمذهب « سامكهيا » الإلحادى الذى لا يشك باحث في أن الالحاد متأصل فيه .

يرى صاحب هذا المذهب أنه لا يوجد للكون إله قدير منفرد بالتصرف فيه ، وإنما يرى أن هنالك روحا عاماً أو عالماً من الأرواح غير محدود ولا متناه ، متشابه الوحدات ، وأن هذه الوحدات بتكاتفها مع المادة هي التى تحدث فى الكون هذه الآثار وتلك التغيرات على النحو الذى يفصله فيما بعد ، وهو يرى كذلك وجود عالمين هما فى الحقيقة والأزلية والأبدية سواء . وهما : النفس ، وتسمى بالهندية : « بوروشا » والمادة ، وتسمى : « برا كريتى » . وهذان العالمان لا يتفقان فى أى شيء آخر عدا الحقيقة والأزلية والأبدية . ومع ذلك ، فان بينهما صلة قوية ، لأن مجاورة النفس للمادة هي التى تكسبها الحركة التى هى منشأ كل النتائج الصادرة عنها ، ولكن النفس وحدها لا تستطيع أن تفعل شيئاً وإن كانت حية مشتملة بالقوة على جميع عناصر القدرة التأثيرية ، وهى مبصرة ولكنها عاجزة على عكس المادة العمياء المشتملة على قدرة كامنة يستحيل بروزها من غير اتصالها بالنفس ، وهم لهذا يشبهون اتحادها باتصال مقعد وأعمى التقيا فى صحراء ، فاتفقا على تعاون عملى بينهما يضمن لهما النجاة ، وهو أن يحمل الأعمى المقعد على كتفيه ، ليمكنه من السير فى مقابل أن يدله المقعد بوساطة بصره على الطريق الذى لم يكن فى مكنته أن يعرفه لولا معاونة رفيقه ، وقد وصلا معاً إلى شاطىء النجاة بفضل هذا التعاون العظيم . وهكذا شأن النفس مع المادة هيأ لهما اتحادهما إبراز خواصهما التى لم تكن لتوجد بدون هذا الاتحاد .

وللمادة ثلاث صفات ملازمة لها ، وهى الخيرية والهوى والظلمة ، وإن هذه الصفات تظل تتفاعل فيما بينها في عصور مختلفة حتى تصل إلى حالة الاعتدال التى تسوي بينها ، فإذا وصلت إلى هذه الحالة تطورت تطوراً آخر جديداً نشأت عنه الطبيعة ، وبارتباط النفس والمادة المتطورة والطبيعة الناشئة عن هذا التطور يوجد هذا العالم المشاهد . غير أن هذه النظرية لم تلبث أن تلاشت

لت محلها نظرية أخرى على العكس منها تماماً ، إذ أصبحت
ئرة الارتباط الحقيقى بين النفس والمادة لاوجود لها ، وإنما
بح الرأى السائد هو أن النفس تجتمع مع المادة اجتماعاً مؤقتاً ،
اسه الضرورة التى تتطلبها الحياة الدنيوية ، ثم لا تلبث هذه
ضرورة أن تزول فتتخلص النفس من هذه الصلة المقيدة لها ثم
لق إلى عالم الأبدية الأعلى حيث تنام بلا نهاية نوما عميقاً هادئاً
تزعجه الرؤى ولا تنغصه الأحلام .

ويرى كذلك أن الشر فى هذا العالم موجود وجوداً ذاتياً
، لا يقدر على محوه إلا بوساطة العمل الصالح والتخلى عن
ع اللذائذ والتأمل فى أسرار الكون ، وعلى الخصوص بالمعرفة
، هى الغاية المثلى من جميع هذه المحاولات المتقدمة .

وهم للحصول على هذا الخلاص المنشود يغالون فى التصوف
لاة شديدة حتى ليجلس الواحد منهم على شاطىء أحد الغدران
: أعوام طويلة دون أن يغادر مكانه ، ويقتات بالأعشاب ويديم
كر فى أسرار الكون ، ولا يزال يغالب نفسه حتى ينتزعها
ياً من دنس المادة ، وقد تصل به الحالة أثناء هذا التنسك إلى
يصير جسمه نصف متحجر وتنبت فيه الحشائش وتلتف
، الأغصان .

ومع ذلك فسوف لا يعم هذا الخلاص جميع النفوس البشرية
ا سيبقى منها عدد غير متناه ساقطاً فى أحابيل الشر مسجوناً
بايات الأجسام المادية ، لأنه مهما اقتطع من اللامتناهي عدد
ب إلى الخلاص ، فان ذلك الاقتطاع لا يؤثر فيه ولا يخرجه
صفة اللانهائية لا سيما إذا عرف أن الأصل هو الشر أو
حباس فى سجن المادة ، وأن التخليص عارض ، ولكن أنجع
سائل إلى هذا التخليص هو معرفة القوى الكونية الخمس
شرين ودوام التفكير فيها . ولذلك يقول « بياس ابن براشن » :
ف الخمسة والعشرين بالتفصيل والتحديد والتقسيم معرفة
ان وإيقان ، لا دراسة باللسان ، ثم الزم أى دين شئت فان
لك النجاة . . .

وهذه القوى الخمس والعشرون هي : النفس الكلية والهيولى
دة ، والمادة المتصورة ، والطبيعة الغالبة ، والعناصر الرئيسية
، : السماء والريح والنار والماء والأرض ، وتسمى « مهابوت »
مهات التى هى بسائط العناصر ، فبسيط السماء « شبد » وهو
المسموع وبسيط الريح « سبرس » وهو الملوس . وبسيط النار
« روب » وهو المبصر . وبسيط الماء « رس » وهو المذوق ،
وبسيط الأرض « كند » وهو المشموم . ولكل واحدة من
هذه البسائط ما نسب إليه وجميع ما نسب إلى ما فوقه . فللأرض
الكيفيات الخمس ، والماء ينقص عنها بالشم ، والنار تنقص عنها
به وبالذوق ، والريح بهما وباللون ، والسماء بها وباللمس . ولعلهم
فى نسبتهم الصوت إلى السماء يقصدون به أن لدوران الكواكب
في أفلاكها تلك اللحون الموسيقية التى زعم « فيثاغورس »
أن سماعها يتاح لكل من صفت نفسه ولطف حسه . والحواس
المدركة ، وهى : السمع والبصر والشم والذوق واللمس والارادة
المصرفة والضروريات الآلية . واسم الجملة : « تتو » والمعارف
مقصورة عليها [1]

أما الانسان فهو عند هذا المذهب معقد تعقيداً يلفت النظر ،
إذ هو مكون من ثلاث شخصيات مختلفة : الأولى الجسم المادي
الذى ينحل ويتفكك بالموت ثم تتلاشى أجزاؤه فى أصولها الناشئة
عنها من عناصر المادة . الثانية جسم دقيق شفاف ، وهو الذى
يعتبر فى الحقيقة الجوهر الصحيح للانسان ، وهو الذى يتناسخ
ويتقمص الأجسام الأخرى . الثالثة النفس التى هى الواحد الحق
المماثل كل المماثلة لجميع الآحاد الحقة التى هى من عالمه النفسانى
الغير المتناهى .

ويرى هذا المذهب أيضا أن الحواس الإنسانية لم توجد
اتفاقاً ولا عبثاً ، وإنما وجدت وفاقاً لعناصر الكون ، فكل
حاسة من حواس الانسان يقابلها عنصر من عناصر الطبيعة
يصلح لأن تقع عليه هذه الحاسة بالذات كما أشرنا إلى ذلك عند
الكلام على الديانة البراهمانية .

وليس هذا التعقيد فى شخصيات الانسان مقصوراً على مذهب
« سامكهيا » وحده ، وإنما هو أسلوب هندى عام اشتركت فيه
أكثر مذاهب تلك البلاد . بل إن غير « سامكهيا » قد يصل
بهذه الشخصيات إلى أربع أو سبع أو عشر حسب الظروف
والأحوال .

« يتبع » محمد غلاب

(١) أنظر صفحتى ٢١ ، ٢٢ من كتاب « تحقيق ما للهند من مقولة »
للبيرونى .

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

١٥١ — تكون رأساً لخيار محمودين

في (رسالة [١] أرسطو للاسكندر) :

إنك قد أصبحت ملكا على ذوي جنسك وأوتيت فضيلة الرياسة عليهم فما يشرف رياستك ويزيدها نبلا أن تستصلح العامة، وتكون رأساً لخيار محمودين لا لشرار مذمومين . فان رياسة الاغتصاب — وإن كانت تذم لخصال شتى — أولى ما فيها بالذمة أنها تحط قدر الرياسة وتزري بها ، وذلك أن الغاصب إنما يتسلط على الناس كالعبيد لا كالأحرار فرياسة الأحرار أشرف من رياسة العبيد . وقد كان ملك فارس يسمى كل أحد عبداً ويداً بولده ، وهذا مما يصغر قدر الرياسة ، لأن الرياسة على الأحرار والأفاضل خير من التسلط على العبيد وإن كثروا .

لا تلتفت إلى مشورة من يشير عليك بغير الذي أنت أهله . ولا تعبأ بكلام أقوام خسيسة آراؤهم ناقصة هممهم يموهون عندك الأمور ويحملونك على العامة

١٥٢ — نحن لا نملك علينا من لا يشاور

يروى أن روميا وفارسيا تفاخرا ، فقال الفارسي : نحن لا نملّك علينا من يشاور

فقال الرومي : نحن لا نملّك علينا من لا يشاور

١٥٣ — الملك الدستوري

في (الكامل) لابن الأثير : كان عضد الدولة لا يعول في الأمور إلا على الكفاة ، ولا يجعل للشفاعات طريقاً . شفع مقدم جيشه (أسفار) في بعض أبناء العدول [٢] ليتقدم إلى القاضي ليسمع تزكيته ويعدله . فقال : ليس هذا من أشغالك إنما الذي يتعلق بك الخطاب في زيادة قائد ، ونقل مرتبة جندي وما يتعلق بهم ، وأما الشهادة وقبولها فهي إلى القاضي ، وليس لك ولا لنا الكلام فيه ، ومتى عرف القضاة من إنسان ما يجوز معه قبول شهادته فعلوا ذلك بغير شفاعة

(١) رسالة مهمة مطبوعة في أوربة

(٢) العدل من الناس المرضي قوله وحكمه ، جائز الشهادة ، وعدل الرجل زكاه ، (اللسان)

١٥٤ — أنا عبد الشرع وشحنته

في (رحلة ابن جبير) : حضر صلاح الدين أحد رجاله المتميزين مستعديا على رجل . فقال السلطان : ما عسى أن أصنع لك وللناس قاض يحكم بينهم ، والحق الشرعي مبسوط للخاصة والعامة ، وأوامره ونواهيه ممتثلة ، وإنما أنا عبد الشرع وشِحْنَتُه [١] ، فالحق يقضي لك أو عليك

١٥٥ — تعظم النعمة في تملك سلطان عالم عادل

كتب ابن العميد (أبو الفضل محمد بن الحسين) إلى عضد الدولة [٢] :

يعد أهل التحصيل في أسباب انقراض العلوم وانقباض مددها وانتقاض مِرَرها [٣] والأحوال الداعية إلى ارتفاع جل الموجود منها وعدم الزيادة فيها — الطوفان بالنار والماء ، والموتان [٤] العارض من عموم الأوباء ، وتسلط المخالفين في المذاهب والآراء ، فان كل ذلك يخترم العلوم اخترماً ، وينتهكها انتهاكا ، ويجتث أصولها اجتثاثاً ، وليس عندي الخطب في جميع ذلك يقارب ماتولده تسلط ملك جاهل تطول مدته ، وتتسع قدرته ، فان البلاء به لا يعدله بلاء ، وبحسب عظم المحنة بمن هذه صفته ، والبلوى بمن هذه صورته تعظم النعمة في تملك سلطان عالم عادل كالأمير الجليل الذي أحله الله من الفضائل بملتقى طرقها ، ويجتمع

(١) شحنة الكورة من فيهم الكفاية لضبطها من أولياء السلطان (اللسان) مثل الشرطة : رجال البوليس

(٢) الثعالبي : اقرأني محمد بن الحسين الفارسي النحوي فصلا من كتاب لابن العميد إلى عضد الدولة كنت مررت عليه وأنا عنه غافل فنبهني على شرفه في جنسه ؛ وحرك مني ساكنا معجبا بحسنه متعجبا من نفاسة معناه وبراعة لفظه .

(٣) المرة : طاقة الحبل ، وكل قوة من قوى الحبل مرة وجمعها مرر (اللسان)

(٤) الموتان (بالضم والفتح) الموت الكثير الوقوع ، الموت يقع في المال والماشية (النهاية ، اللسان)

تها . وهى نور [1] نوافر ممن لاقت حتى تصير إليه ، وشُرّد
زع [2] حيث حلت حتى تقع عليه ، تتلفت إليه تلفت الوامق ،
شوف [3] نحوه تشوف الصب العاشق ، قد ملكتها وحشة
ناع ، وحيرة المرتاع ،

١٥٦ — للرعية المنام وعلينا القيام

كان الرشيد فى بعض حروبه فألح عليه الثلج ليلة ، فقال له
ن أصحابه : أما ترى مانحن فيه من الجهد والنصب ووعثاء [4]
فر والرعية قارة وادعة نائمة ؟ !

فقال : أسكت ، فللرعية المنام ، وعلينا القيام ، ولا بد للراعى
حراسة الرعية وتحمل الأذى . وإلى ذلك اشار بعضهم :

بيت لنصبتك الصوارم والقنا   لما نهضت لنصرة الاسلام
را إلى كنف بعدلك واسع   وسهرت تحرس غفلة النوام [5]

١٥٧ — تحلم العربى كسرى

فى (تاريخ الطبرى وشرح النهج لابن أبى الحديد) : لما
م على عمر بسيف كسرى ومنطقته وزبرجه [6] وزيه فى المباهاة
ه فى غير ذلك ، وكانت له عدة أزياء لكل حالة زى — قال :
بمحلم — وكان أجسم عربى يومئذ فى المدينة — فألبس تاج كسرى
عمودين من خشب ، وصُبّ عليه أوشحته [7] وقلائده
به ، وأجلس للناس ، فنظر إليه عمر ونظر إليه الناس فرأوا
أمراً عظيما من أمر الدنيا وفتنتها ، ثم قام عن ذلك فألبس زيه
الذى يليه ، فنظروا إلى مثل ذلك فى غير نوع حتى أتى عليها كلها ،
ثم ألبسه سلاحه وقلده سيفه فنظروا إليه فى ذلك ثم وضعه ثم
قال : والله إن أقواماً أدوا هذا لأمناء ؟ فقال على : إنك عففت
فعفوا ، ولو رتعت لرتعوا .

١٥٨ — حتى يمسكن أزواجهن عن الحركة

ابن سعيد المغربى فى بعض مصنفاته : وكان الملك العادل [1]
ابن أيوب من أعظم السلاطين دهاء وحزماً ، وكان يضرب به
المثل فى إفساد القلوب على أعدائه وإصلاحها له . وكان صلاح الدين
— وهو السلطان — يأخذ برأيه ، وقدم له أحد المصنفين كتاباً
مصوراً فى مكايد الحروب ومنازلة المدن — وهو حينئذ على عكا
محاصراً للفرنج — فقال : ما نحتاج إلى هذا الكتاب ومعنا أخونا
أبو بكر . . . وكان (العادل) كثير المداراة والحزم ، كثير
المصانعات حتى إنه يصوغ الحلي الذى يصلح لنساء الفرنج [2] ،
ويوجهه فى الخفية إليهن حتى يمسكن أزواجهن عن الحركة [3]

١٥٩ — وأين أنت من محادثة الرجال ؟

قال المأمون للحسن بن سهل : نظرت فى اللذات فوجدتها
مملولة خلا سبعاً .

قال : وما السبع يا أمير المؤمنين ؟

قال : خبز الحنطة ، ولحم الغنم ، والماء البارد ، والثوب
الناعم ، والرائحة الطيبة ، والفراش الوطأ ، والنظر الحسن من
كل شيء .

قال : وأين أنت — يا أمير المؤمنين — من محادثة الرجال ؟

قال : صدقت ، هى أولى منهن

---

(١) نارت المرأة من الدية نوراً ونواراً (بالكسر) وهي نوار (بالفتح)
ن نور (الأساس)

(٢) نوازع : غربة ، تنزع إلى وطنها أى تشتاق وهي نازع بغير هاء

(٣) تشوق لكذا إذا طمح بصره إليه ثم استعمل فى تعلق الآمال والتطلب
صباح) .

(٤) من المجاز : (أعوذ بالله من وعثاء السفر) : من شدته (الأساس)
له من الوعث وهو الرمل والمشى فيه يشتد على صاحبه ويشق (النهاية)

(٥) ولمحمد بن يزداد فى المأمون (وكان وزيره) :

من كان حارس دنيا إنه قمن   ألا ينام وكل الناس نوام
وكيف ترقد عينا من تضيفه   همان من امره : حل وإبرام

(٦) الزبرج : الزينة من وشى أو جوهر ونحو ذلك ، والزبرج الذهب
سان) .

(٧) الأوشحة : من جمع الوشاح (بكسر الواو وفتحها والأشاح على
ـ) كرسان (نظمان) من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف
ما على الآخر ، والوشاح أديم عريض يرصع بالجواهر وتشده المرأة
عاتقيها وكشحيها ؛ والوشاح اسم سيف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
سان ، التاج)

---

(١) محمد بن أيوب ، كان ملكا عظيما ذا رأى ومعرفة تامة قد حنكته
التجارب ، حسن السيرة ، جميل الطوية ، وافر العقل ، حازما فى الأمور
صالحا ، مائلا إلى العلماء ، ممتعا فى دنياه ، كان يأكل وحده خروفا لطيفا
مشويا ، ولادته سنة (٥٤٠) وتوفى سنة (٦١٥) ودفن فى التربة التى
بمدرسته (فى دمشق) وقبره على الطريق يراه المجتاز من الشباك المركب
هناك (ابن خلكان) .

(٢) نساء ملوكهم وأمرائهم الصليبيين .

(٣) لقتاله .

خواطر وأفكار

للأستاذ أديب عباسي

الخاطر الخامس كالداء الخامس : هذا يضعف الجسم ويعرضه لأدواء أخرى، وذاك يضعف الفكر ويعرضه للكلال والانقباض في نطاق ضيق

* * *

يجب ألاَّ يخدعنا سكوت الناس عن رأى من الآراء أو فكر من الأفكار فنظن أن هـذا السكوت دليل الرضى وآية القبول ؛ فقد يكون الرأى من السخف ووضوح الخطأ فيه بحيث لا يتكلف أحدٌ مشقة العناية به والانبراء لتفنيده

* * *

الخطأ الكبير من صفات العقول الكبيرة ، أما صغار العقول فلا يمكن أن تكون لهم أخطاء كبيرة

* * *

قصر النظر كبعد النظر لازم فى بعض ظروف الحياة ، لا سيما فى الأزمات

* * *

الناجح والفاشل فى الحياة يلتقيان عند قـلّة الأصدقاء والمريدين لهم إرادة بريئة من الملق والزلفى أو حب الاستعلاء والظهور

* * *

يقولون لو عرف الانسان كفايته متى تكون لفتر سعيه وقلّت أطماعه ، وليس أنأى عن الصواب من هذا الرأى . فالواقع أن الناس يسعون ويعملون ويؤملون كأنهم باقون إلى آخر الدهر ومن هنا ترى الشاب والكهل والشيخ يستوون فى المطامح والأطماع

* * *

كثرة التحليل والتعليل والتدبر كثيراً ما تكون سبيلاً للفشل بدل أن تكون عوناً على النجاح

* * *

يضطر المرء أحياناً أن يمثل دور المخدوع ، لعله أن يقلل من أذى الحاقدين وشرهم ، لا سيما إذا كانوا ذوى حول وسلطان

* * *

حتى الأعراض تهون عند البعض فى سبيل الانتقام

* * *

خير للمرء أن يخطئ مع التجربة من أن يتجنب التجربة كيلا يخطئ

* * *

تعوُّدك الأمر من الأمور أسهل جدًّا من انقطاعك عنه

* * *

فى الناس الميل لتذكر السيآت ونسيان الحسنات ، لأنهم فى قرارة نفوسهم لا يحبون أن يكونوا المحسن إليهم ، ويودون دائماً أن ينالوا ما يشتهون بجدهم وسعيهم

* * *

فى طبيعة الناس جميعاً الملل من المؤثر يجىء على وتيرة واحدة ومن هنا ترى الناس على الاطلاق يتمنون لو يبدّلون أحوالاً بأحوال وأوضاعاً بأوضاع مع العلم واليقين أن الأحوال والأوضاع الجديدة قد لا تكون خيراً من الحال والوضع القديم

* * *

السياسى كالدجال يعتمد على خداع الفكر كما يعتمد الدجال على خداع البصر .

* * *

إذا اشتد الجدل حول الرأى من الآراء أو الخطة من الخطط وانتصر الرأى أو الخطة ، فمن الخير والحكمة أن تنزل بالرأى أو الخطة درجة أدنى من التقدير ، وذلك أن حرارة النضال وشهوة الفوز لابد أن تكون أخرجت الرأى أو الخطة عن نطاق الصحة وصدق التقدير .

* * *

معارك الفكر الكبرى تترك كثيراً من قتلى الأفكار الأبرياء، كما أن المعارك الحربية تترك كثيراً من القتلى فى غير ميادين القتال .

* * *

السعادة كالأفق دائماً أمامك .

* * *

ليست الفضيلة أن تمتنع عما لا تستطيع ، إنما الفضيلة امتناعك عما تطوله يداك وتخصه بهواك .

إذا أكثر المرء الحديث فى فضيلة من الفضائل. فشك فى نصيبه منها

* * *

إذا جاء الاعجاب بالشيء بعد كره له ، فذاك هو أصدق الاعجاب

* * *

الاعجاب الفاجيء كثيراً ما ينتهي بالكره والاحتقار

* * *

الابتكار بالطبع غير الإغراب ، ولكن كثيراً ما يلتبس الواحد بالآخر . ومن هنا يجب ألا يخدعنا الإغراب عن مكان الابتكار فيه ، إن يكن تحته ابتكار

* * *

من الكتاب من لا يريد أن يريك الفكرة فى وضاحة من الألفاظ واستقامة من الأسلوب ، وذلك لأنه ليس على يقين من لجة هذه الفكرة أو صدقها ، فيرى أن يلفّفها ويغمّضها بالملتوى من الأسلوب ومبهم البيان

* * *

حديث النعمة لا يعرف الاعتدال ، فإما السرف الشديد وإما الكزازة

* * *

الدنيا مع الواقف

* * *

الفشل أشدُّ أثراً فى حياة الأفراد من النجاح

* * *

ليست النتيجة بقياس صحيح لجودة الرأى وصواب النهج والخطة ، فقد ينتهي الرأى الخاطيء على غير انتظار بنتيجة طيبة وقد ينتهي الرأى الصائب بنتيجة سيئة

* * *

قدِّر السوء والشرَّ نتيجة لما تسعى . فان جاءك الخير حسست به قوياً ، وإن جاءك الشر يكن لك من توطينك النفس عليه واقياً يقيك أذى اليأس وأخطار الخيبة

* * *

الشخصية القوية الواضحة كالفكرة القوية لا تزيدها المقاومة إلا رسوخاً وظهور معالم

* * *

منتهى الشك بدء اليقين .

* * *

الطفولة أسعد أوقات الحياة لأنها الدور الأوحد الذى يستطاع العيش فيه للحاضر دون الآتى أو الغابر من الزمن .

* * *

تظلم الثعلب إذ تشبه بمكره رياء الناس . فهو يمكر ويختل تحت أقسى الظروف ، وأشد الضرورة ، أما أكثر الناس فيختلون ويعالثون ويراءون ترفاً وفى غير حاجة سوى حاجتهم إلى إظهار الصغار وهوان النفس .

* * *

حتى الصغائر تظهر صغيرة فى صغار النفوس .

* * *

عند الاضطرار تتقارب صفات الخلق .

* * *

يبلغ من لؤم الطبع فى بعض الناس أن يؤذوا الأصدقاء إذا وُجد بينهم أعداء يريدون لهم الأذى ولا يستطيعون أن يفردوهم لأذاهم من بين هؤلاء الأصدقاء .

* * *

لو أتيح أن يتساوى جميع الناس فى الفضائل ، لأضحت رزائلنا ضرباً من الامتياز يُرغب فيه ويُسعى إليه .

* * *

التوقح أشرف من الرياء ، فهو على الأقل يدلُّ على الجرأة

* * *

عادِ مشتركاً ــ إن أمكن ــ وصادق منفرداً .

* * *

الإقدام لا يكون شجاعة إلا مع تقدير الخطر .

* * *

كل شيء يخف أثره وقيمته إذا تكرر إلا التضحية .

* * *

من ضحى مرة وأعادها ثم أعادها ، بعد إنكار لها ، فنزلته فوق منزلة البشر .

* * *

أعط بعض ذاتك تعط كل ذاتك .

أديب عباسي



رسالة الشعر



مختارات من أدب الرافعي

« على جسر كفر الزيات كان للرافعي في صدر شبابه مغدى ومراح ومن عيون الملاح على هذا الجسر تفتحت زهرة شبابه للحب؛ و (العصفورة) التي ينسب بها الرافعي في القصيدة التالية فتاة من بنات كفر الزيات لقيها على الجسر فهفا إليها قلبه وتحرك لها خاطره، وهي كانت أول هواه، وعمره يومئذ اثنتان وعشرون سنة » محمد سعيد العريان

عصافير يحسبْن القلوبَ من الحَبِّ فمَن لي بها (عصفورةً) لقطت قلبي [1]
وطارت فلما خافت العينُ فوتَها أذالت لها حبًّا من اللؤلؤ الرطبِ
فياليتني طـــير أجاوز عُشَّها فيوحشها بُعدي ويؤنسها قربي!
وياليتها قد عشَّشتْ في جوانحي تُغرِّد في جنب وتمرح في جنب
ألا يا عصافير الرُّبى قد عشقتُها فهُبِّي أعلمْك الهوى والبكا هُبِّي
أعلمْك النَّوح الذي لو سمعتِه رثيتِ لأهل الحب من شغف الحب
خذي في جناحيك الهوى من جوانحي ورُوحي برُوحي للتي أخذت لُبِّي
نظرتُ إليها نظرةً فتوجَّعتْ وثنَّيتُ بالأخرى فدارت رَحَى الحرب!
فمِن لحظة يَرمي بها حدَّ لحظةٍ كما التجم السيفان عضباً على عضب
ومن نظرة ترتدّ من وجه نظرة كما انقلب الرُّمحان كعباً إلى كعب
فساقت لعيني عينُها أيَّ أسهم قذفن بقلبي كلَّ هول من الرعب
وساق لسمعي صدرها كلَّ زفرة أقرّت بصدري كل شيء من الكرب
ودارت بيَ الألحاظ من كل جانب فمنهن في سلْبي ومنهن في نهبي
فقلت: خُدعنا، إنها الحرب خدعة وهوَّن خطبي أن أسرَ الهوى خطبي
فقالت: إذا لم تنجُ نفسٌ من الردى فحسبك أن تهوى فقلت لها: حسبي
ولي العذر إمّا لامني فيكِ لائم فأكبر ذنبي أن حبَّك من ذنبي
ويا من سمعتم بالهوى، إنما الهوى دمٌ ودمٌ: ها ذاك يصبو وذا يُصبي
متى التقيا ذَلاًّ وَدَلاًّ تعاشقاً وإلا فما في رونق الحسن ما يَسبي
سلوني أنبئكم، فلم يدرِ ما الهوى سواي، ولا في الناس مثلي من صَبّ
إذا شعراء الصـــيد عُدُّوا فإنني لشاعرُ هذا الحسنِ في العُجْم والعُرب [1]
وإن أنا ناجيتُ القلوب تمايلتْ بها نسماتُ الشعر قلباً على قلب
وبي مَن إذا شاءتْ وصفتُ جمالَها فوالله لا يبقَى فؤادٌ بلا حُب!!
من الغيد، أما دَلُّها فلاحةٌ وأما عذابي فهو من ريقها العذب
ولم يُبقِ منها حُبُّها غيرَ خطرة ولا هي أبقتْ للحسان من العُجب
عرضتُ لها بين التذلُّل والرضا وقد وقفتْ بين التدلُّل والعتْب
وأبصرتُ أمثال الدُّمَى يكتنفنها فقلت: أهذي الشُّهب أم شبه الشهب؟
فما زال يهدي ناظري نورُ وجهها كما نظر المَلاَّحُ في نجمة القطب
وقد رُحن أسراباً وخفتُ وشاتَها فعيني في سرب وقلبيَ في سرب
وقالت: تجلَّدْ. قلت: يا ميُّ سائلي عن الحزن يعقوبا ويوسفَ في الجب
وما إن أرى الأحباب إلا ودائعاً تُرَدُّ، فإما بالرضاء أو الغضب.!

سنة ١٩٠٢ — مصطفى صادق الرافعي

(١) مما يحسن ذكره أنه كان لأحد بني المنجم جارية (صفراء) مولدة، فبلغ به الوجد بها إلى أن مرض ونحل، فدخل عليه الطبيب بجسه وقال: هذا الفتى قد أحرقته (الصفراء). يريد إحدى الطبائع الأربع، فقال العليل: أصبت وأحسنت من حيث لا تشعر ... الرافعي

أقول: والرافعي يعني بهذا أن عصفورته التي ينسب بها كان اسمها (عصفورة)

(١) من هذا كان الرافعي في سنيه الأولى ولوعاً بأن يسمى (شاعر الحسن)

هدأة الليل

قيثارتي . . .

« كأنما قلبي في خفقة * فراشة أنت لها الشمل »

رنَ ساجٍ ، والدجى مُسْبَلُ | والبدرُ في هالتِهِ يرفلُ
يلُ كاليمِّ بعيدُ المدى | لا آخرٌ يُرجى ولا أوّلُ
سمةُ الأمواجِ خفّاقةٌ . . | حيرى فلا قصدٌ ولا موئلُ
يةُ الأملِ في مسّها | كأنّها في لينها المخملُ
نجمُ وهنانُ السنا راجفٌ | والطيرُ معقودُ اللها مُجفلُ
سلي الأنغامَ في هينةٍ | كما سرى في الجدولِ السلسلُ
فرقي الألحانَ تنثلْ بها | فمن رقيقِ اللحنِ ما يُثملُ

* * *

تْ لحاظُ الكونِ من حولنا | وغابَ في أغصانه البلبلُ
سبلَ الجفنَ بنانُ الكرى | وأسدلَ السجفَ الدجى المسدلُ
دتُ في الليلِ وقيثارتي | ترجّعُ اللحنَ وتسترسلُ
ن كما الحلمُ رفيفُ الرؤى | يحفلُ بالآمالِ ما يحفلُ
فاضَ في قلبي فأحيا به | ما كادَ من نضرِ المنى يرحلُ
أنما أوتارها جدولٌ | ينهلُ منه الروضُ ما ينهلُ
حي على ضفّاته نبتةٌ | حياتها في روضها الجدولُ

* * *

م تسكرُ النفسَ أرانينُها | ويستخفُّ القلبَ ما يذهلُ
نما ألحانها نسمةٌ . . | تروحُ بين الزهرِ أو تقبلُ
تقلّبُ في هبّاتها زهرةٌ | ترسلها الأنسامُ ما ترسلُ

* * *

أيها القلبُ إلامَ الأسى | والكونُ صافٍ حولنا يجذلُ
بكلتني من طولِ ذاك الضنى | والزهرُ إن طالَ المدى يذبلُ
ع أسى الدنيا وآلامها | واطرحْ من الأشجانِ ما يثقلُ
ث الخطى وانعم بصفوِ الصبا | فالعمرُ يخبو ، والصبا يأفلُ
ما خلفَ ذاكَ العمرِ إلا الردى | نهايةُ السنبلةِ المنجلُ .

* * *

قيثارتي هُزّي الدنا نشوةً | كما تهزُّ السنبلَ الشمألُ
كأنما قلبي في خفقِهِ | فراشةٌ أنتِ لها المشعلُ
إنْ أبقتْ الدنيا له مأملاً | فأنتِ سؤلُ القلبِ والمأملُ

* * *

فسلسلي الأنغامَ في هينةٍ | كما سرى في الجدولِ السلسلُ
ورفرفي الألحانَ تنثلْ بها | فمن رقيقِ اللحنِ ما يُثملُ

الإسكندرية — أحمد فتحي مرسي

حمامة الموكب (1)

لا والذي علم الغيوب وصانها | لا أدعي علماً بأي مغيب
لكن فطنت إلى دقائق حاضري | فنظرت للآتي بعين مجرب
إن الحمامة فوق ركب مليكنا | روح النبي محمد في الموكب
هذي مبايعة بسر ما انجلى | وسينجلي في لمحة أو أقرب
ركن الخلافة لن يظل معطلاً | تاج الخليفة بين أجنحة النبي
واهاً لكم يا آل مصر رأيتمو | روح الرسول على الفناء الأرحب
هبطت على القصر المنيف بسحرة | ميمونة يوم الخميس الأطيب
ورأت خليفتها لدى استيقاظه | في الفجر نعم المجتبى والمجتبي
ولى المتوج وجهه مستقبلاً | بيت الإله بعزة وتهيب
ذرعت له أفق السموات العلا | لتراه يوم حلوله في المنصب
لترى معزاً دينها ومجدداً | سلطانها ومعيد عزة يعرب
وافرحة الورقاء لما شاهدت | تقوى الإله وعزة المترب
أمنت على القسم العظيم وليه | وحبته سر طريقها والمذهب
وافرحة الفاروق بالروح التي | نزلت على أهل لديه ومرحب
فاروق يا مولاي إن إشارة | أغنت لديك عن المقال المسهب
المشرق الأقصى رنا إسلامه | شوقاً إلى مصر وأقصى المغرب
يرجو إمامتها وأنت إمامها | أيذاد عندك ظامئ عن مشرب

عبد اللطيف النشار

(1) يريد الحمامة التي هبطت على المركبة الملكية وظلت عليها في ذهاب الموكب إلى البرلمان ورجوعه إلى عابدين



مهر الوظيفة

للأديب نجيب محفوظ

كانوا أربعة فتيان، جمعتهم فى البدء نشأة الصبا على ما بين القصور الشماء والبيوت البسيطة من تفاوت ونفرة، وآخت بينهم زمالة الدراسة الطويلة ما بين ابتدائية وثانوية وجامعية، وأغراهم بالطموح إلى المجد اجتهاد عظيم وعزم متوثب ونجاح مؤازر لم يخنهم عاماً من الأعوام حتى غدوا تملأهم الثقة ويلهب قلوبهم الحماس.

وذكروا في حياتهم الدراسية العالية مثالاً لهم شرذمة من رجال مصر نشأوا على الاخاء نشأتهم، وتزاملوا فى الدراسة زمالتهم. ثم كان منهم الوزير الخطير والمالي الكبير والفيلسوف الحكيم والمشرع العبقرى، جعلوهم نبراساً منيراً بهداه يهتدون، ومن قوته يستمدون، وبعظمته يرجون ويأملون، ولم تقصر أخيلتهم عن التوفيق والابداع، فربط كل منهم نفسه بواحد من هؤلاء العظام اما لصفة ظاهرة أو سجية غالبة أو خلق معروف.

فلما أن حصلوا على ليسانس الحقوق ووضعوا أول قدم فى طريق الحياة العملية الجديدة انتظر كل منهم نصيبه داعياً أن يجد فيه ما يحقق أحلامه ويؤدى إلى هذه الحياة التي سعى إليها طويلا وبذل النفس كى يحقق مثلها الأعلى، وما كانت الوزارة لدى الزميل منهم إلا بعض أحلامه . . .

وفى الفترة التى أعقبت ظهور النتيجة ارتحل اثنان من الأربعة —وهما الثريان— إلى المصايف كعادتهما كل عام، وسافر واحد من الاثنين الباقيين إلى كفر الشيخ مسقط رأسه، وبقى في القاهرة «الأستاذ» جودة وهو شاب بسيط الحال من أسرة فقيرة فى الصيت والرجال، عميدها موظف صغير بالبريد جاوز الخمسين ولم يجاوز مرتبه خمسة عشر جنيهاً، ولم ين الشاب عن السعى فحرر عدة طلبات استخدام وأرسلها إلى وزارة الحقانية وأقلام القضايا فى الوزارات المختلفة، وكان طيب القلب قليل الخبرة فانتظر على شئ من الأمل والاستبشار، وفات يوم ويومان وأسبوع وأسبوعان، وشهر وشهران ولم يلق رداً أو يرى فى الأفق بشيراً من الأمل، فراجع نفسه فى تفاؤله وتلفت يمنة ويسرة فلم يجد من يهتم لشأنه سوى أبيه العجوز الضعيف الذى لا يملك له ضراً ولا نفعا.

وعلى غير انتظار زاره صديقه رشدى ففرح به أيما فرح وكان فى أشد الحاجة إلى من يبادله الرأى ويبثه الشكوى ويتقبل منه العزاء، فبادره سائلا:

« أراجع أنت من كفر الشيخ . . . ؟ »

فرد عليه الشاب وهو يتنهد:

« أى كفر الشيخ يا رجل . . . لقد كنت تلك الشهور التى غبتها عنك كالرحالة أجوب البلدان وأزور الرجال وأتسقط الرزق . . . والآن ما أخبارك أنت . . . ؟ »

« لا شئ مطلقاً سوى أنى سعيت للتوظف وعدت من مسعاى بالخيبة . . . هل من أخبار عن صديقنا حامد وإبراهيم ؟ »

« أخبار سعيدة والحمد لله . . . هما الآن موظفان بالحكومة المصرية . . »

« مبارك حظهما . . . ولكن كيف حدث هذا . . . ؟ »

« كيف حدث هذا ؟ أتحسب أن حامداً يشقى فى طلب وظيفة وأبوه مستشار فى محكمة النقض والابرام ؟ لقد كان تعيينه بالنيابة العمومية أمراً مفروغاً منه من يوم أن التحق بالكلية »

« حسن . . وابراهيم ؟ نعم إن إبراهيم غنى ولكن أهله فلاحون وليسوا من ذوى المناصب الحكومية . . . »

« المال أبو الخوارق، وإبراهيم شاب جسور، أفتعلم ملذا صنع ... ذهب إلى وكيل وزارة الخارجية وهو من بني بلدته،

طلب يد ابنته ومهرها ألف جنيه . . . ولما كانت هذه الفتاة من ذوات الأمزجة الرقيقة اللاتى لا يجوز أن يمضين شهر العسل فى مصر فما قريب سنذهب جميعاً لتوديع صديقنا العزيز وهو فى طريقه إلى السفارة المصرية بروما . . . »

فبدت الدهشة على وجه الشاب وتساءل :

وما الذى زكاه — وهو شاب ناشىء — فطاب فى عينى هذا الرجل الخطير . . . ومثل ابنته يتنافس فيها خيرة الموظفين الممتازين . . ؟

« ما فائدة التساؤل ؟ هب أنها عاطل من الجمال . . . أو أن باشاً يتكل سمعتها . . أو . . أو . . فما يهمنى سوى رواية ما عندى من الأخبار . . . »

وصمتا لحظة جامدين خلا فيها كل منهما إلى أفكاره ثم نظر الشاب إلى رشدى وقال :

« ها إن الصديقين يرسمان الخطوة الأولى فى الطريق المؤدى إلى المجد ولا يبعد أن يحققا مرة أخرى المثل الأعلى الذى سبق أن حققه الباشوان اللذان كان الصديقان يترسمان شخصيتهما »

فأحنى الأستاذ رشدى رأسه مؤمناً فعاد الآخر إلى سؤاله فى تردد :

« وأنت . . . ؟ »

« أما أنا فقد نسيت كما نسيت وأغلقت الأبواب فى وجهي كما أغلقت فى وجهك ولكنى لم أسلم للخيبة كما سلمت لها ، فى ميدان المحاماة متسع لجميع ذوي العزائم والهمم ، والمحاماة ميدان تبرز فيه ملكات الرجال ومزاياهم ، فلا ينبغ فيها إلا كل عبقرى جبار ؛ وما أجدرها أن تبلغ بى ما تتمني نفسى من المثل الأعلى ... »

* * *

هذا جميل ، ولكنه لا يستطيع أن يحتذى حذو رشدى ولا أن يأمل آماله ، فآل رشدى على شىء من الثراء يمكنهم من أن يمدوا الشاب حتى يقف على قدميه ، أما هو فلا يمكن أن يطالب أباه بشىء من هذا ، لأنه يعلم علم اليقين أنه شيخ فقير وأنه يربى جملة من البنات والبنين ، فما عسى أن يصنع . . . ؟ »

لقد أظلمت الدنيا فى عينيه وذوت أزاهر آماله اليانعة وبات يذكر أحلامه عن المجد والوزارة بالاستهزاء المرير والسخرية الأليمة ، وداخله شعور قوى بتفاهته وتفاهة الدنيا وأحلامها ومسراتها ، فعاش زمناً فى ظلمة أشد حلكة من ظلام القبور .

* * *

وبعد حين زاره فجأة الأستاذ رشدى ، وكان فى هذه المرة منشرح الصدر جذلا مسروراً فبادره بقوله : —

« قل معي يا بشرى . . . لقد اهتديت إلى كنز ثمين . . . فأصبت منه حظاً وأرجو أن تنال منه مثل حظى . . » فنظر إليه نظرة المريض المشرف على الهلاك إلى طبيبه . فاستطرد رشدى قائلا :

« لن تغرب شمس الغد على حتى أكون من الموظفين . . من أعضاء النيابة العمومية . . »

« مبارك . . »

« أرجو أن أهنئك بدوري عما قريب .. والآن اصغ إلى فانى أعلم أنك تتلهف الى معرفة حقيقة المسألة . هو مكتب للمعاملات المالية فى الطابق الخامس من عمارة رقم ٨٥ شارع سليمان باشا مديره رجل فى الأربعين حنكته الأيام والتجارب ففاق الفلاسفة فهماً للنفوس والرجال ، يعرفه جميع الماليين وكبار الموظفين لأنه يقرض النقود بأرباح هادئة . وقد غدا بحكم اتصاله بكبار رجال الدولة من زبائنه ذا نفوذ عظيم . له ظاهر يعلمه الناس جميعاً وباطن يعلمه هو وهم وأمثالنا من ذوى الحاجات . . هلم أدلك على قريب لى من أصدقائه المقربين ، خاطبه فى أمرك فان رأى أن شروطك ملائمة كان واسطتك إليه ، وثق يا صديقى أنه إذا كتب لسعيك لديه النجاح فانك لا شك غداً من موظفي الحكومة الممتازين »

* * *

وفى عصر ذلك اليوم كان عند قريب الأستاذ رشدى . . . وقد قدمه إليه صديقه فلقي منه ترحيبا شد عزيمته وأنعش أمله ، قال له الرجل بعد ما بسط له مسألته :

« أذكر لى الوظائف التى ترغب فى الالتحاق باحداها »

فأجابه جودة :

« النيابة العمومية . . . قلم القضايا . . . السفارات أو القنصليات . . . »

« أوه ... إنك تنظر إلى علُ ... فما هي مؤهلاتك ... ؟ »

« ليسانس الحقوق »

« شهادة فى ذاتها مبجلة ... ولكن ليس العبرة بالشهادات... هل لك أقارب من ذوى المناصب . . . ؟ »

فضحك الشاب وقال :

« لو كان لى ما سعيت إليك . . . »

« حسن . . . من يطلب ثمينا فليدفع ثمينا . . . إلا أنى أرجو أن تذكر أنه ما أنا إلا واسطة نزيهة ، وإنى إن مددت لك يدا فلأنك صديق رشدى ولأنه حدثنى عنك بما جعلنى أقدرك وأعطف عليك . . . والآن اسمح لى أن أعرض عليك الوسائل التى قد تبلغ بك إلى غايتك المقصودة ، وما علىّ جناح إن لم يصادف بعضها هواك أو لم يستحق احترامك فعلى العرض وعليك الاختيار . . . »

فأحنى الشاب رأسه أن نعم ؛ فاستطرد الرجل همسا :

« النساء من أنجع الوسائل تحقيقاً للغرض ... أم جميلة ... أخت شابة ... زوج ظريفة ... أرى وجهك تحتقن فيه الدماء .. وتلهمه سورة الغضب ، حسن فلندع هذه الوسيلة . . . »

« نعم . . . نعم . . . »

« وسيلة أخرى شريفة جدا . . . الزواج . . . ولكنه ليس زواجا بهذه الفتاة أو تلك ... وإنما هو طلب الانضواء تحت لواء اسم كبير . . . أو أسرة عتيدة . . . »

فانبسطت أسارير وجه الشاب وخفق قلبه من نشوة الأمل وصاح :

« هذا على هين . . . »

« لا تتسرع فليس الأمر كما تظن ... فشهادتك لا تكفي ... هذه الأسر تهمها المحافظة على المظاهر ... وصون اسمها عن انتقادات الصالونات ما أمكن . . . فمهر كبير يخرس الألسن ويدعم أى ادعاء وإن بعد عن الحقيقة . . . »

فعاوده اليأس واستشعر الخيبة مرة أخرى وقال : —

« فلألحق بوظيفة . . . وليدعوا لى فرصة حتى اقتصد من مرتبي وأفى بوعدى . . . »

« وما الداعى لرهان غير مضمون . . . والزبائن النافعون غيرك غير قليلين . . ؟ »

« إذاً هات وسيلة أخرى . . . »

« وآسفاه إنها لا تكاد تختلف عن هذه إلا فى الاسم . . : مى المال »

« وكم ينبغى أن أدفع ؟ »

« مهر الوظائف التى تطلب من الألف فصاعدا . . . »

الألف . . . إن والده لم يربح من الحكومة طوال عمره بها ضعف هذا المبلغ فكيف يأتى به فى ساعة من الزمن ؟ أواه . . . إن اليأس ينشب فيه أظافره فيستقر فى قلبه . . . ولكن التمعت فى ذهنه فكرة فصاح :

« لم لا يقرضنى صاحبك المرابى المبلغ الذى يريد ويكتب على صكا أسدده فيما بعد من مرتبى ؟ »

« فكرة حسنة ، ولكنه رجل مرت به جميع التجارب وهو يرفض عادة أن يقرض مبالغ ضخمة لغير ذوى المراكز المالية المضمونة ، ولكنه قد لا يرى بأسا من كتابة صكوك وهمية كهذه بمبالغ صغيرة . . . مائة جنيه أو مائتين لمن يرغب فى وظيفة كتابية مثلا . . . »

وظيفة كتابية ؟ أين هذه من المجد والوزارة ومَثَله الباشا العظيم ؟

ولكن ما باليد حيلة وقد سدت فى وجهه الطرق وأظلمت الدنيا في عينيه فينبغي أن يغض عن الآمال العالية ولو إلى حين ريثما يبحث عن كسرة الخبز أولا ، ومن يعلم فقد تتمخض البداية الصغيرة عن نهاية عظيمة ! فكم من الوزراء بدأوا كتبة فى المحاكم المقبورة فى أقاصى الصعيد

وهكذا اضطر إلى أن يحول قلبه عن محركات الدولة الكبرى إلى آلاتها الصغرى الميكانيكية التى تتحرك ولا تدرى لم تتحرك أو كيف تتحرك

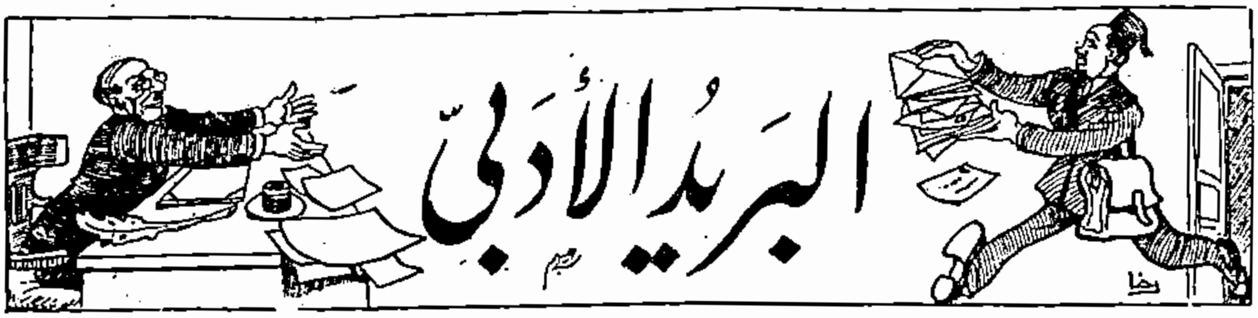
وأصبح ذات يوم فوجد نفسه فى حجرة واسعة تتزاحم فيها المكاتب الهرمة يقعد وراءها قوم خيل إليه — لجمودهم وتفاهتهم — أنهم قطعة من بنيانها المتهدم

المركز صغير . . والمرتب ضئيل . . ترى هل ينتظر طويلا كى يضخم هذا المرتب أو يعلو هذا المركز ؟ واقترب برأسه من زميل له وسأله همساً :

« ما موعد علاوتى القبلة ؟ »

فنظر إليه الرجل دهشاً ورد عليه بصوت مسموع رنان :

« يحل موعد علاوتك — ومقدارها جنيه واحد — بعد



دولة الأدب والعهد الجديد

يحق لدولة الأدب أن تتطلع إلى العهد الجديد، عهد الملك
فتى فاروق الأول، وأن تؤمل أن تجتنى من الرعاية والشباب
الجدة ما يسبغ عليها قوة جديدة ويحملها إلى آفاق جديدة أوسع
أعظم من آفاقها الحاضرة، وقد كنا وما زلنا نؤمل أن تفتتح
يئات الرسمية والعلمية العهد الجديد بطائفة من المشاريع العلمية
الأدبية الجليلة؛ ومن بواعث الأسف أن الجهات الرسمية لم تفطن
، أهمية هذه المناسبة السعيدة وكونها من أصلح الظروف لوضع
شاريع الأدبية وترتيب الجوائز العلمية والأدبية، وقد رأينا الأمم
أوربية تتخذ هذه المناسبات لتنظيم الرعاية الأدبية وتنظيم المشاريع
الجوائز العلمية الجليلة، ورصد الاعتمادات والهبات لتشجيع
لحركة الفكرية وتشجيع الكتاب والمفكرين، وافتتاح العهد
لجديد بنوع من الحلة الأدبية والعلمية تسبغ على الحركة الفكرية
ياة جديدة. أما في مصر فقد مرت هذه المناسبة الجليلة، مناسبة
ريج الملك الشاب وافتتاح عهده الغض الجديد دون أن تحظى
بركة الأدبية من جهاتنا الرسمية والعلمية بما كان خليقاً أن تحظى
من المشاريع والجوائز؛ ولم يفطن إلى هذه المناسبة سوى دار
كتب المصرية إذ رتبت عدة جوائز أدبية من الكتب للمتفوقين
، الطلاب؛ وهذا الاجراء على ما ينطوى عليه من معنى مشكور
ا هو اجراء متواضع كنا نود أن يصدر مثله مضاعفاً من هيئاتنا
رسمية العلمية؛ وقد كان خليقاً بوزارة المعارف العمومية والجامعة
المصرية والأزهر ومجمع اللغة أن تنظم جميعاً مشاريع وجوائز علمية
تعلن فى مفتتح العهد الجديد وتكون عنوان عصر جديد من
الاحياء العلمي والأدبي؛ ولكنها جميعاً غفلت عن هذه الفكرة
الجليلة. على أن الوقت مازال متسعاً للتفكير والعمل؛ وما زلنا
نؤمل أن تنتهز هيئاتنا العلمية هذه الفرصة لتعمل على شد أزر
الحركة الأدبية بصورة عملية؛ وإذا كانت الحركة الأدبية قد
حققت لنفسها فى العصر الأخير تقدماً يبعث إلى الفخر والرضى،
فقد كانت في ذلك مستقلة تعمل من تلقاء نفسها، ولو حظيت
بقسط من الرعاية الرسمية لكان تقدمها مضاعفاً، فهل نظفر فى
العهد الجديد بمثل هذه الرعاية الكريمة؟ هذا ما نرجو، وهذا
ما ندعو إليه.

آثار للشاعرة سافو بمصر

عثر أحد علماء الآثار الايطاليين وهو السنيور بريشا والسيدة
ليديا نورسا أثناء مباحثهما في مصر عن الآثار الخزفية القديمة على
قطعة من الخزف ترجع إلى القرن الثانى من الميلاد، وقد نقشت
عليها ثمانية عشر سطراً من نظم الشاعرة اليونانية الشهيرة
« سافو »، وهى أول مقطوعات من نوعها وجدت لهذه الشاعرة
وقد قام بترجمة هذه النقوش العلامة الايطالى جوفريد وكوبول،
وظهر من تلاوتها أن الشاعرة قد كتبتها أثناء إقامتها بجزيرة
أقريطش، وهي فى ملخصها ترنم بمحاسن الطبيعة والأحراج
الخضراء فى تلك الجزيرة.

بع سنوات بصفة اسمية تصير فعلية بعد سنة فالمدة كلها خمس
نوات . . . »

ولفتت إجابة الرجل انتباه الحاضرين فعرفوا بداهة السؤال
ى اقتضى هذه الاجابة فلم يملكوا أنفسهم من الضحك . . .
ن حقهم أن يضحكوا من هذا الشاب الذى يسأل عن موعد
علاوته ولما يمض عليه فى العمل أسبوع، وقال له واحد منهم:
« ستملك هذه الوظيفة أن تستهين بأمتع فترة من عمرك
وهى الشباب . . . فتستحث كل يوم – من أجل جنيه واحد –
خمس سنوات من العمر اليانع أن تفوت وتنطوى . . . ! »

نجيب محفوظ

وسافو كما هو معروف أعظم شاعرة عرفت فى التاريخ ، وهي يونانية عاشت فى أواخر القرن السابع وأوائل القرن السادس قبل الميلاد ، وهى صاحبة أعظم وأجمل مقطوعات غنائية عرفتها دولة الشعر .

ومن الغريب أن تخرج هذه التحفة الأثرية من مصر ؛ ومن الأسف ألا تجد السلطات المصرية وسيلة لمنع هذا السيل المتسرب من تحفنا وآثارنا .

مؤتمر للصيد تمثل فيه مصر

من أنباء برلين أنه سيعقد بها مؤتمر دولى عظيم للصيد فى شهر نوفمبر القادم ؛ وسيقام إلى جانبه معرض للصيد يكون أعظم ماعرف العالم من نوعه إذ سيغطى مساحة قدرها نحو عشرة أفدنة ، وسيضم نماذج من آلات الصيد ومناظره المختلفة منذ فجر التاريخ إلى يومنا ، وستشترك مصر فى هذا المؤتمر ، وترسل نماذج وصوراً من آثارها المتعلقة بالصيد عند الفراعنة لتعرض فى هذا المعرض العظيم .

العيد المئوى لدار نشر عظيمة

احتفلت دار النشر الألمانية الشهيرة «تاوخنتز» Tauchnitz بليبزج بعيدها المئوى ؛ ولعله لا يوجد بين مئات الملايين الذين يقرأون الانكليزية فى مختلف أنحاء الأرض من لا يعرف مطبوعات هذه الدار الشهيرة التى اشتهرت بجمالها وأناقتها واعتدال أثمانها ؛ وقد كان تأسيس هذه الدار فى سنة ١٨٣٧ على يد كرستيان برنهارد تاوخنتز ، أسسها لتقوم بنشر مؤلفات الكتاب البريطانيين والأمريكيين وبالفعل لم تترك علماً من هؤلاء الكتاب الذين يكتبون بالانكليزية إلا نشرت جميع مؤلفاته فى قطع جميل موحد ، وتضمنت مطبوعاتها مؤلفات جميع كتاب العصر الفكتورى مثل ليتون وتاكرى وكارلايل ودكنز وكولنس وهاردى وكونان دويل وكابتن ماريات ، وجميع الكتاب الأمريكيين مثل كوبر ومارك توين وبريت هارت وادجاربو وهاوتورن وغيرهم ؛ وقد جرت الدار على أن تنشر مؤلفات الكاتب كلها فى نفس القطع والشكل ؛ وقد أخرجت حتى يومنا أربعين ألف مجلد و٥٢٦٠ كتاباً للمؤلفين الانكليز والأمريكيين فى القرن الماضي والقرن الحاضر .

ومن الغريب أن دار تاوخنتز كانت تنشر كتب المؤلفين دون استئذان ولكنها كانت ترسل اليهم بعض تعويضات عن حقوقهم وكان ذلك صنيعاً يحمد من جانبها لأنه لم يكن هنالك فى ذلك العصر تشريع دولى لحماية المؤلفين وحقوق التأليف ، ولكن مطبوعات تاوخنتز لم يكن يسمح بدخولها فى انكلترا ولا الأملاك البريطانية لاعتدائها على هذه الحقوق فيما يظهر ، بيد أن السائح الانكليزى يشترى منها خارج بلاده بكثرة ، ويشتريها جميع الذين يتكلمون الانكليزية فى مختلف البلاد . ويقدر أن قراءها من الانكليز لا يزيدون على عشرين فى المائة بينما يقدر قراؤها من أبناء الأمم الأخرى بنحو ثمانين فى المائة .

وفى سنة ١٩٣٤ بيعت حقوق أسرة تاوخنتز فى النشر إلى دار نشر ألمانية أخرى فى ليبزج هى دار أوسكار براندشتتر ، وهى تقوم أيضا بنشر المؤلفات الانكليزية تحت عنوان معروف هو « مكتبة البتروس »

التاريخ السياسى المعاصر

صدر أخيراً بالانكليزية كتاب عن التاريخ السياسى المعاصر عنوانه « العلاقات الدولية منذ معاهدة الصلح » Int. Relations Since the Peace Treaties لمؤلفه المؤرخ الأستاذ هنرى كار وقد كان الأستاذ كار مدى أعوام طويلة ، من كبار موظفي وزارة الخارجية البريطانية ، وأتيحت له فرصة حسنة لدراسة العلاقات الدولية عن كثب ومراجعة المحفوظات والوثائق الهامة ؛ وهو يقدم لنا فى كتابه عرضاً موجزاً للحوادث والعلاقات الدولية منذ عقد معاهدات الصلح فى سنة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٣٧ ، ومن رأيه أن معاهدة فرساى كانت وثيقة سيئة لم يحسن وضعها ، لأنها قصدت فى مجموعها إلى إذلال ألمانيا وانتهاز فرصة هزيمتها وضعفها إلى حدود أبعدت الشعب الألمانى نهائياً عن أوربا الغربية وجعلت من المستحيل على الحلفاء السابقين أن يطمعوا فى ولائه أو مصادقته ، ثم يستعرض الأستاذ كار سياسة إيطاليا الفاشستية وألمانيا النازية فى النمسا وأوربا الوسطى ، وأن ما يجمع بين السياستين هو عاطفة السخط على الدول التى استغلت ظفر الحرب واستولت على جميع الثمار والأسلاب ، ولكن هذه الجامعة السلبية ينقصها كثير من عناصر الوئام والتناسق . وكتاب الأستاذ كار على العموم سجل بديع لتاريخ الدبلوماسية الأوربية منذ خاتمة الحرب الكبرى إلى يومنا .

ب والشعراء

قرأت المقال الطريف « فى الحب أيضاً » للأستاذ الأديب
ميم عبد القادر المازنى فى الرسالة عدد ٢٠٨ حتى وصلت إلى
: « وخليق بالمرء وهو ينظر إلى هـذه الفتنة المجتمعة ، أن
كه الحيرة ، وأن يزوغ بصره ، فلا يعود يدرى أى هؤلاء
لات أولى بحبه ، فإن لكل جسم فتنة ، ولكل محيا سحره ،
أني وقفت على البحر لكان الأرجح أن أحب هؤلاء جميعاً ،
، وأن أشتهى أن أضمهن كلهن فى عناق واحد فإن الظم
ج . ونفسى لا تطاوعنى على غمط الجمال فى أية صورة من
ه . ومن يدرى لعل القدرة على إدراك معانى الجمال فى مظاهره
نة هى التى وقتنى الحب ، ومنعت أن أعشق واحـدة على
بوص وأجن بها » الخ

وهنا رأيت أن روح التصوف قد حلت فى الأستاذ من غير
رفها ، أو يعرفها ولا يريد أن يتظاهر بها . فإنه بين الصوفية
بول : « همه أوست » أى كل شىء هو ؛ ويرى أن الله روح
فى الكون . فكل شىء فيه مظهر من مظاهر جماله تعالى .
، لا وجود للقبيح عندهم بل كل شىء حسن فى ذاته . وهؤلاء
من يقول « همه أزوست » أى كل شىء منه . فهم لا يقولون
ولهم إن الله روح سارٍ فى الكون ، بل إنه تعالى مصدر لوجود
ون ، وإن كل شىء فى الكون وميض جمال قدرته وشعاع كمال
، ؛ وعلى هذا فلا وجود للقبيح بالنسبة إلى قدرته تعالى وصنعه
ولكن هؤلاء الصوفية مع تلك العقيدة لم يضنوا بقلوبهم
د خاص من أفراد الجمال الكثيرة فى هذا العالم كما يضن
تاذ بقلبه . فإننا كلما تتبعنا حوادث حياتهم ودرسنا سيرتهم
نا أن قلب كل منهم تقريباً علق بفرد خاص من أولئك الأفراد
ح فيما بعد دليلا لسموهم النفسى ، وسبباً لتقدمهم الروحانى
بق ما هو الحب ؟ فينظر الأستاذ إليه نظرة التشاؤم ويقول
رض ، وينسب ما اتصف به الحب من المزايا والمحاسن فى
، والأدب إلى الشعراء ومبالغتهم فيه . فكأن الشعراء هم
وصفوا هذا المرض المستحق للذم بالأوصاف والمزايا تفاؤلاً
وإلا فهو نفسه لم يكن خليقاً بها . لذلك ختم الأستاذ مقاله
، على الشعر والشعراء . ولكننا نقول للأستاذ ألا يبادر فى
، عليهم فإن للتشاؤم وجوداً فى كل مكان مهما كان مصدره ،
سواء أكان خيبة أمل ، أم كبر السن ، أم فساد الطبع . فبين الشعراء
أيضا من يرى رأى الأستاذ . قال الشاعر الفارسى :

چنين قحط سال شد اندر دمشق
كه ياران فراموش كردند عشق

اشتدت المجاعة فى دمشق إلى درجة أن نسى الناس العشق .

وقال الآخر : أين نه عشق أست آنكه در مردم بود
أين بلا أز خوردن ڪند بود

إن العشق الذي يوجد فى الانسان لا أصل له فإن هذا البلاء يوجد
من أكل القمح .

السيد أبو النصر أحمد الحسينى الهندى

القسام والقسامة ، السمحة

قال الأستاذ فكري أباظه [1] : « لماذا لا يستعمل الناس هذا اللفظ الجميل البليغ — يعنى الكسم — ولا أعلم ما رأى مجمع اللغة العربية فى فصاحته ودقته وروعته »

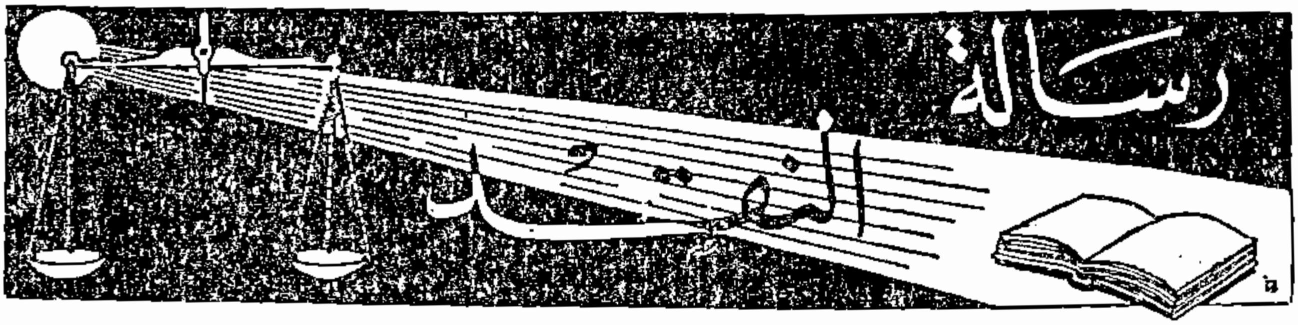
قلت : هذا (الكسم) العامي هو القسام والقسامة محرفين ناقصين ففى (التاج والأساس) : « قسم قسامة والمقسم والقسيم : الجميل معطي كل شىء منه قسمة من الحسن فهو متناسب كما قيل متناصف . ورجل قسيم وسيم بين القسامة والقسام »

ومن استثقل (القاف الثقيلة) لفظها سعدية زغلولية [2] أو محمودية رازقية (نسبة إلى محمود باشا عبد الرازق رحمة الله عليه) أو علوية وقراءة جماعة منهم فى القرآن بها — كما قال ابن خلدون — وهي متوارثة فيهم ، ويرون أنها الصحيحة المضرية . وقاف الجماعة هى بين القاف والكاف

وما دمت فى ألفاظ ... فأقول : إنى وجدت فى هذا الشهر العربى فى جريدة ومجلة وكتاب هـذه الكلمة غير الصحيحة : (السمحاء) وهى لفظة لا توجد فى الأرض ولا فى السماء ، وإنما هى (السمحة) أى السهلة كما فى (النهاية) والحنيفية السمحة هي الملة التى ما فيها ضيق ولا شدة كما فى (اللسان والتاج) فهناك السمح والسمحة لا الأسمح ولا السمحاء . والحديث المشهور الذى رواه الخطيب عن جابر هو : « بعثت بالحنيفية السمحة ، ومن خالف سنتي فليس مني » وهو من الأحاديث الضعيفة كما فى (الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير) للحافظ الأسيوطى

قارئ

(١) فى مقالة فى مجلة (٢) نسبت إلى الاسم واللقب ...



نقد كتاب إحياء النحو

تأليف الأستاذ ابراهيم مصطفى

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ١ —

لا ريب فى أن نحو اللغة العربية ثقيل عسير، يحتاج إلى كثير من التهذيب والتبويب؛ ليصبح سهل المأخذ، قريباً إلى النفوس، محبباً إليها درسه وفهم قواعده وأصوله

ولقد أخذت كتاب إحياء النحو، راجياً أن أجد فيه — كما يدل عنوانه — روحا جديدة تبعث فى النحو الحياة، أو فكرة حديثة تذلل صعبه، وتجمع ما تشتت من أبوابه ومسائله، وهأنذا، بعد القراءة، أبين رأيى فى الكتاب، بالصراحة التى يتطلبها العلم، وبالأدلة التى لا تدع مجالا للشك، آملا أن أكون قد وفيت بحق النقد البرىء

وسوف أنهج فى بحثى النهج الذى اتبعه المؤلف، فأذكر النتائج التى وصلت إليها بعد القراءة، ثم أتحدث بالتفصيل عن الأسباب التى أدت إليها، ويؤلمني أن تكون النتائج هى:

أولاً: أن الكتاب ليس فيه شىء جديد

ثانياً: أن الكتاب لم يحدث فى دراسة النحو، أو كتبه، أو قواعده أى تغيير أو تبديل

ثالثاً: أن ما فى الكتاب ليس إلا تعليلات كهذه التعليلات التى يستنبطها النحاة لشرح ما بين أيديهم، مما وقع فى كلام العرب، وإنك لواجد مثل هذه التعليلات التى جاء بها المؤلف، وأكثر منها فى الحواشى والتقارير

رابعاً: أن المؤلف ادعى على النحاة قضايا غير ممحصة

خامساً: أنه فى الأبواب القليلة التى أراد ضم بعضها إلى بعض يزيد النحو عسرا، لا سهولة وفهما، فضلا عن أنه لم ينجح فى هذا الضم

وسآخذ الآن فى مناقشة آرائه، وتفصيل القول فيها:

تعريف النحو

يأخذ المؤلف على النحاة، أنهم يعرفون النحو بأنه علم يعرف به أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناء؛ وهم لذلك قد ضيقوا دائرته تضييقاً شديداً، ويجب (فى رأيه) أن تتسع هذه الدائرة، حتى يصبح النحو قانون تأليف الكلام، وبيان كل ما يجب أن تكون عليه الكلمة فى الجملة، والجملة مع الجمل، حتى تتسق العبارة، ويمكن أن تؤدى معناها

وليسمح لى الأستاذ المؤلف أن أخبره بأن هذا التعريف غامض الغموض كله، فبيان كل ما يجب أن تكون عليه الكلمة فى الجملة قول عام مبهم، يشمل بيان أن تكون هذه الكلمة مستعملة فى معناها الحقيقى، أو غير مستعملة، قصد بها السجع مع كلمة أخرى أو لم يقصد، رمي بها إلى طباق أو تورية أو جناس، أو لم يُرمَ بها، إلى غير ذلك، وعلى هذا يشمل تعريف النحو علوم اللغة العربية كلها؛ لأنها جميعها ما وضعت إلا لبيان كلّ ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة؛ ثم قسمت وأصبح لكل علم اختصاص خاص؛ ولا أحسبنى فى حاجة إلي أن أحدث الأستاذ عن اختصاص علم المعانى وعلم البيان وعلم البديع، التى ترمي جميعها مع علم النحو، كما قلت، إلى بيان مايجب أن تكون عليه الكلمة فى الجملة؛ ولا إخال المؤلف يريد أن يجعل علم النحو عاما شاملا يضمّ تحت جناحيه علوم العربية كلها.

ولـكن يظهر أن المؤلف (وتعريفه لعلم النحو غير محدّد ولا
ـح كما قلت) يرى بكل ما يجب أن تـكون عليه الكلمة في
ـة إلى وصف حالها من تقديم أو تأخير أو نفي أو إثبات أو تأكيد
ـستفهام ، وهنـا أريد أن أقف معه وقفة قصيرة نستبين فيها
ـض علم النحو وغايته .

لا أحسبني أبعد عن الصواب إذا قلت : إن غرض علم
ـو (كما هو واضح فيما بين أيدينا من كتبه) ليس إلا تـكوين
ـ تـكوينا سليما ، وإقدارنا على النطق الصحيح الخالي من الخطأ
ـلتركيب . فليس صحيحا إذاً أن ندعي على النحاة أنهم قصروا
ـم على أواخر الكلمات ، بل هم قد تعرضوا كثيراً ، وكثيراً جداً ،
ـثر مما توهم المؤلف الفاضل إلى بيان وضع الكلمة من الكلمة
ـلة من الجملة ، وإلى حذف بعض أجزاء الكلام لدليل أو لغير
ـ ، وإلى كثير مما يعرض للكلمة من النفي والاثبات . وأكبر
ـ أني أجلب السآمة للقارئ إذا أنا أخذت أحدثه عما في
ـب النحو من ذلك كله ، ولست أكلفه إلا أن يرجع إلى كتاب
ـهذه الـكتب ليرى بعينيه أن المؤلف كان مغاليا كل المغالاة
ـ ادعى على النحاة أنهم لم يعنوا إلا بأواخر الكلمات . ولأجلب
ـأنينة إلى النفوس سوف أنقل هنا مثالا صغيرا يبين دعواي :
ـابن هشام في كتابه أوضح المسالك : وللفاعل أحكام : أحدها
ـ . . . الثاني وقوعه بعد المسند . . . الثالث أنه لابد منه . . .
ـع أنه يصح حذف فعله . . . الخامس أن فعله يوحد مع تثنيته
ـه . . . السادس أنه إن كان مؤنثاً أنث فعله بتاء ساكنة . . .
ـبع أن الأصل فيه أن يتصل بفعله ، ثم يجيء المفعول ، وقد
ـ ، وقد يتقدمهما المفعول ، وكل من ذلك جائز وواجب .. الخ
ـ ترى من هـذا أن حكم آخر الـكلمة لم ينل إلا واحداً من
ـ — بل أقل من ذلك كثيراً — من عناية ابن هشام ؛ أما
ـ أحكام الفاعل فهي علاقته بالـكلمة التي قبله وبعده ، وما
ـض لهـذه العلاقة من تذكير أو تأنيث أو تقديم أو تأخير
ـير ذلك . وإذا شئت أن أعد الـكثير من أبواب النحو التي
ـ ادعاء المؤلف طال بي القول وانتهى بي إلى الإملال

أما إذا قصد المؤلف إلى أن من غرض النحو أن يفضل
ـباً على أسلوب ، أو أن يوجب نحواً خاصاً من التعبير إذا كان
ـ يستدعيه ، أو أن يبين سر جمال نوع من القول — فذلك
أمر قد تكفل به علم المعاني والبيان والبديع ، فالنحو مثلا يقف أمام الجمل الآتية موقف المصحح لها جميعاً وهي : مصر مستقلة ، وإن مصر مستقلة ، وإن مصر لمستقلة ، واستقلت مصر ، ومصر استقلت ؛ يصحح النحو هـذه الجمل كلها ويقبلها ، وإذا تكلمت بواحدة منها في أي حال قبلها النحو ، ولم يخطئها ؛ أما علم المعاني فينظر إلى الحال التي يقال فيها الـكلام ، فعند ما يكون المخاطب منكراً استقلال مصر مثلا وقلت له مصر مستقلة كنت مخطئاً ، لأن الحال يستدعي أن تؤكد له القول ، وأن تقول له : إن مصر مستقلة . فاذا أراد المؤلف أن يجعل ما يبحث فيه علم المعاني والبيان من اختصاص علم النحو ، ومما يجب أن تتناوله بحوثه ، فانه لم يزد على أن ضم علمين أحدهما إلى الآخر من غير ضرورة ملحة بل ضما يجلب معه الاضطراب والخلط .

هذا إلى أن المؤلف لم يشر إلى علاقة الكلمة بالكلمة ، ولا ارتباط الجملة بالجملة من أول كتابه إلى آخره ، بل قصره على حكم آخر الكلمات ، ولم يعن بغيرها .

فلسفة العامل

أطنب المؤلف في ذكر فلسفة العامل وبيـان أهميته لدى النحاة ، ثم أخذ ينقد مذهبهم من غير أن يذكر رأيه الصريح في العامل ، فالنحاة قد اضطروا ـ لمذهبهم في وجوب ذكر العامل ـ إلى التقدير الذي سماه تقديراً صناعياً ، ولم يبين لنا كيف نحلل هذه الجمل التي اضطر النحاة فيها إلى التقدير . وهل نكتفي حين نبين مكان كلمة الضيف في قولنا : الضيفَ أكرمته ، بأن نقول إن الضيف لم يرد به أن يكون مسنداً إليه ، ولا مضافاً إليه ، ولذلك كان منصوباً ، أم ماذا ؟

أما أن النحاة بالتزامهم أصول فلسفة العامل قد أضاعوا معاني الـكلام في باب المفعول معه ، فلا إخالني في حاجة إلى بيان تحامل المؤلف مما نقله هو حين تحدث عن المفعول معه من أن النحاة قد تنبهوا للمعنى ، وأوجبوا أن يتبعه اللفظ ؛ فقد قال الرضي في شرح الكافية ما نصه : الأولى أن يقال : إن قصد النص على المصاحبة وجب النصب وإلا فلا . ففكرة النظر إلى المعنى في المفعول معه قديمة معروفة ، وهي التي يقبلها العقل ويستريح إليها .

وأما ما انتقده المؤلف من كثرة خلاف النحاة في كل عامل يتصدون لبيانه ، فالمغالاة فيه ظاهرة ، فهذه الخلافات لا تجدها في لباب كتب النحو ، ولكنك تجدها في الحواشي والتقارير ، ولا يعطي لها من العناية إلا مقدار ضئيل لا يخشى منه على دراسة لباب النحو وأصوله ؛ على أن الأستاذ المؤلف قد زاد رأياً جديداً في عامل النصب وأنه وجود الكلمة في حالة لا يراد بها أن تكون مسنداً إليها ولا مضافة وسوف نناقشه في ذلك .

معاني الإعراب

جعل المؤلف الضمة والكسرة علامتي إعراب فحسب ، أما الفتحة فليست علامة إعراب ولا دالة على شيء ، بل هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التي يراد بها أن تنتهي بها الكلمة كلما أمكن ذلك ، فهي بمثابة السكون في لغة العامة .

ذلك قول يتهدم أمام النقد :

أولا : لأنه ليس من المعقول ولا من الواقع في شيء أن تكون المعاني التي قصد إليها العربي تدور حول اثنين : هما الاسناد والاضافة ، حتى يهتم بهما العربي وحدهما ولا يعنى بغيرهما فلا يضع له علامة تدل عليه ، فعندنا الحال والتمييز ، وعندنا أنواع المفعول والاستثناء ، ولا إخال واحداً مما ذكرت أقل من معنى الاضافة حظاً لدى اهتمام العربي ، بل إن بعض هـذه الأنواع لا يتم الكلام إلا به ، ولا يفهم المعنى إلا بذكره ، فالكلام يكون أبتر ناقصاً إذا حذفت الحال أو المستثنى أو نوعاً من أنواع المفعول أو التمييز ؛ وإذا شئت أن تلمس ذلك ، فهاك أمثلة توضح لك ما قلنا :

تقول : عدت المريض ، واجتهدت رغبة في النجاح ، وسوف أزورك الساعة الخامسة ، ونجح التلاميذ إلا سعيداً ، واشتريت أقتين جبنا ، وما جئتك إلا زائراً ؛ فانظر كيف كمل المعنى في المثال الأول بذكر المفعول به ، ولو أنك حذفته لصار المعنى ناقصاً مبتورا ؛ وفي المثال الثاني إذا أنت حذفت المفعول لأجله ، جعلت الكلام غير معلل ولا مسبب ، فتقل فائدته ومعناه ؛ أما إذا حذفت المفعول فيه في الجملة الثالثة فإنك سوف تلقى بمن تزوره في خضم من الظن والتخمين ، لأنه لا يدري متى تزوره حتى يتهيأ للقائك ؛ ولا إخال المستثنى في المثال الرابع يقل أهمية عن المستثنى منه ، فكلاهما مقصود يهتم به القائل ، ولو أنك حذفت المستثنى لفسد المعنى وأصبح خاطئاً . وقل مثل ذلك في الحال والتمييز ؛ فقد بدا لك أن العربي يقصد هذه الأنواع قصداً ، ويعنى بها عناية تامة ، فلِمَ لَمْ يميز كلا منها بحركة ، كما ميز المضاف إليه بحركة ، وإذا علمت أن المضاف إليه لم يذكر في الكلام قصداً ، ولم يؤت به لأنه مراد لذاته ، (كما يقولون) وإنما جيء به لتعريف المضاف أو تخصيصه وتقليل شيوعه فحسب — إذا علمت ذلك أدركك العجب حين ترى أن ما يقصد في الكلام ويعنى به : من حال أو تمييز أو غيرهما ، لا يهتم العربي بأن يجعل له علامة خاصة تدل عليه ، أما ما يذكر عرضاً فإن العربي يحتفل به أيما احتفال ، ويضع له حركة تميزه . ذلك قول لا يستطيع العقل أن يقبله .

ثانيا : لأنه ليس من الصحيح أن الفتحة هي الحركة الخفيفة المستحبة التي يراد أن تنتهي بها الكلمة ، فلو كان ذلك صحيحاً ما وقف العرب بالسكون على الكلمات التي تنتهي بالفتحة ، ولا انتهزوا فرصة اختتامها بالفتحة ، فوقفوا بها استمتاعاً بما يحبونه من نطقها . ولست أدري كيف وصل المؤلف إلى هـذه النتيجة وكيف استنبطها ، مع أنه ليس في الكلام العربي كله كلمات يقف عليها المرء بالفتح إلا إذا كان آخر الاسم منونا مفتوحاً ، فلو كان العرب يحبون الوقوف بالفتحة لجعلوا وقفهم بها لا بالسكون ، ولا ختتموا بالفتحة كل كلمة تقع في آخر الجملة ، ولما أتوا بكلمات مفتوحة في أول الكلام ووسطه ؛ وذلك غير ما هو واقع بين أيدينا .

ثالثا : لأن المؤلف أراد أن يجعل الضمة علامة الاسناد ، فتكلف في سبيل ذلك عناء ومشقة ، وانتحل أسباباً لا تثبت أمام الانتقاد :

فمن ذلك أنه اضطر في سلامة قاعدته إلى أن يخرج اسم (لا) من أن يكون مسنداً إليه ، لأنه ليس يتحدث عنه ، ولذلك كان حقه الفتحة .

« يتبع » احمد احمد بدوي

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدي عمارة محجم رقم ٧ }